**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة عبد الرحمن ميرة –بجاية–**

جامعة بجاية
Tasdawit n Bgayet
Université de Béjaïa

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

**عنوان المذكرة:**

# تشكلات الفضاء المكاني في رواية " وصية المعتوه؛ كتاب الموتى ضد الأحياء" لـ: إسماعيل يبرير

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة ماستر في اللغة الأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

**إعداد الطالبة**

معوش نوال

**إشراف الأستاذة**

إدريس سامية

الموسم الجامعي 2019–2020.

# إهداء

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب، إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى صاحب القلب الكبير

" أبي الغالي " حفظه الله

إلى من أرضعتني الحب والحنان، إلى رمز التضحية وبلسم الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض

"أمي الحبيبة " أطال الله في عمرها

إلى زوجي الغالي وابني الصغير مراد، إلى إخوتي فوزية، وسام، وأخي عبد الغاني

إلى كل من ذكره قلبي، ولم يذكره قلمي، إلى أستاذتي المحترمة " دريس سامية "

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة.

# المقدمة

لقد شهدت الساحة الجزائرية تحولات كثيرة بعد الاستقلال، تبعتها بالضرورة إبداعات أدبية في بناء الظواهر الفكرية، قصد اكتمال اللوحة الفنية، التي بدأ يعدّ لها الفنان بريشة الحرف العربي، ومن أهم هذه الإبداعات الفنية، الرواية وتعتبر من أحسن الفنون الأدبية النثرية وأجملها، ولقد الأكثر حداثة في الشكل والمضمون كما أن للرواية تأثير كبيرا في المجتمع، حيث تتحدث عن مواقف وتجارب البشرية في زمان ومكان معين، لتعطينا عبرة ونصيحة، أو قصة، ودرس نستفيد منه في المواضيع العاطفية والتاريخية والاجتماعية والنفسية....إلى غير ذلك.

لقد عرف الروائيون الجزائريون بالبراعة السردية المصورة للناس بأساليب سردية متميزة تطفح بالإبداع وتتضح بالإمتاع، وقد انفرد كل روائي بأسلوبه وخطابه الخاص، ولهذا كان شغفي كبيرا بدراسة رواية جزائرية بسيطة في لغتها عميقة في معانيها وهي رواية " وصية المعتوه كتاب الموتى ضد الأحياء" لإسماعيل يبرير، وما دفعني إلى اختيار هذه الرواية أنها جذبتني من عنوانها فزاد فضولي ورغبتي في الكشف عن بعض أسرارها وخفاياها.

ومن الأسباب الموضوعية، قلة الدراسات التي تناولت هذا العمل الروائي فأردت أن أخوض التجربة في هذا الموضوع وهنا نطرح الإشكالية:

- ✓ كيف تجلت البنية السردية في رواية وصية المعتوه؟
- ✓ وما هي الأماكن التي استعملها الروائي في روايته؟

نستفيد هذه الدراسة في بحثها الفضاء المكاني في رواية "وصية المعتوه"، على المنهج الوصفي التحليلي ذو خلفية نظرية بنيوية، وذلك عن طريق تفحص المقاطع التي تصور الفضاء المكاني في نص الرواية، ثم تصنيفها وتحليلها.

وللإجابة على إشكالية البحث ارتأيت تقسيمه على النحو التالي؛ مقدمة يليها مباشرة الفصل الأول الذي يمثل الجانب النظري، وفيه رصدت أهم التعريفات والآراء حول مفهوم الفضاء المكاني، والفصل الثاني الذي يمثل الجانب التطبيقي، وقد جاء بعنوان "تجليات الفضاء الروائي"، وفي الخاتمة حوصلة لأهم الأفكار التي تمت مناقشتها في متن البحث، وقد عقب على ما سبق بملحق وقفت من خلاله عن السيرة الذاتية لإسماعيل يبرير وأهم أعماله الفنية والأدبية .

ومن أهم الكتب التي ساعدتني في تأصيل المصطلحات هي: ابن منظور: لسان العرب، حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي، حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، وفي الجانب التطبيقي استفدت خاصة من كتاب عبد الحميد بورايو "منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية". والحق أنها أفادتني أكثر مما أحلت عليها، فقد أفادتني في طريقة العمل وفي ضبط العناصر إلغاء أخرى، وفي تجاوز بعض الإشكاليات المنهجية.

وفي الأخير أشير إلى بعض الصعوبات التي يمكن أن أجملها في النقاط التالية:

- ✓ كثرة المراجع وصعوبة التحكم في توظيف المعلومات وتشبعها.
- ✓ تفشي وباء الكورونا وصعوبة التنقل بسبب الحجر الصحي.

أتقدم شكري إلى كل من مد لي بيد العون من قريب ومن بعيد وأرفع شكري إلى أستاذتي المشرفة "دريس س" التي لم تبخل بنصائحها وإرشاداتها التي كانت عونا وسندا لي في اكتمال هاته المذكرة.

# الفصل الأول: الفضاء المكاني

1. مفهوم الفضاء

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2. مفهوم المكان

أ- لغة

ب- اصطلاحا

1-التمييز بين الفضاء والمكان

2-الفضاء المكاني

**تمهيد:**

لقد فطن النقد الأدبي الحديث المعاصر لظاهرة البناء الروائي وقضاياها محاولا تجنب ادعاء فهمه السليم للنص فتكشف مفصلة الفضاء المكاني في شكلها المعقد ترمس التفسير والتأويل في الإشكالية التي يطرحها الفضاء بوصفه أحد مكونات الرواية الأساس إن لم يكن لبّه وبؤرته، وستوقف عند إشكالية هذا المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر على وجه الخصوص لنثير قضية تعالقه الشديد مع مصطلح المكان الذي ظل على الدوام لصيقا به، ومن هنا نطرح الإشكال ما معنى الفضاء وما مفهوم المكان وما المقصود بالفضاء المكاني.

الإجابة على هذا التساؤل سنحاول هنا الدخول في إغواره لفك ثغراته عودة إلى الرواية وإذا كان المنهج هو الذي يسير عليه البحث العلمي ويتحكم إليها في تعامله مع المادة المدروسة، فقد تشكلت خطة البحث في الفصل الأول من مبحثين، المبحث الأول تحدثنا عن مفهوم الفضاء، أما المبحث الثاني تحدثنا عن مفهوم المكان ولكن واجهنا إشكاليات في الوصول إلى مفهوم واحد لكلا من الفضاء والمكان.

إن الفضاء مصطلح شائع إلاّ أننا لا نكاد أن نعثر على تعريف واحد له، لأنّ الجهود التي خاضت غمار البحث كانت عبارة عن نظريات واجتهادات لم تصل إلى تشكيل نظرية عامة للفضاء "فلا وجود لنظرية مشكلة من فضائية حكائية ولكن هناك فقط مسارات أخرى على هيئة متقطعة. لذلك لم تتجمع تصورات كافية تمكن من وضع مسارات منهجية واضحة وتحديد تعاريف دقيقة.

## 1-مفهوم الفضاء:

أ- **الفضاء لغة:** ورد تعريف الفضاء في المعجم الوسيط كما يلي:

" الفضاء: ما اتسع من الأرض، الخالي من الدار: ما اتسع من الأرض أمامها"، أما في لسان العرب لابن منظور فهو "المكان الواسع من الأرض والفضاء فضا، يفضو، يفضو فهو فاض وفقر فضى المكان وأفضى المكان وأفضى إذا اتسع"[1]. يعرج بنا (ابن منظور) على عادة اللغويين القدامى لا يطمئنون إلى قاعدة يستنبطونها أو معنى يستخرجونه ما لم يلووا أعناقهم صوت المنابع الأصلية للغة ممثلة في القرآن الكريم، والحديث النبوي والشعر الجاهلي على مواطن ورد فيها لفظ "فضا" ويشرح معناه بما يصدق مقاله الأول، أو يضيف معنى آخر، الذي يقضي إليه لفظ "الإفضاء" في بعض المواطن. ويقول ابن منظور "الإفضاء" في الحقيقة الانتهاء ومنه قول الله تعالى: " وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى البعض– أيّ انتهى وأوى"[2].

أما ابن فارس فقد أسفر التئام حروف (الفاء والضاد والحروف المعتل) عنده عن " أصل صحيح يدّل على انفساخ في شيء واتساع من ذلك الفضاء: المكان الواسع".[3]

وقد ورد هذا المصطلح في معجم عبد النور المفصل كما يلي:

الفضاء espace بمعنى فضاء، فراغ، حيز، فسحة، أمّا مارى الياس وحنان قصاب حسين في معجمها المسرحي (مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض فقد عرفناه كما يلي " كلمة espace وspace بالفرنسية والانجليزية مأخوذتان من اللاتينية spakom بمعنى المسافة والامتداد واللامحدود

---

[1]جبور عبد النور عواد، معجم عبد النور المفصل، فرنسي عربي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ط 8، نوفمبر 2006، ص 412.

[2]ابن منظور: "لسان العرب" – الجزء 15، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 156.

[3]ابن فارس: " معجم مقاييس اللغة" – تحقيق د/عبد السلام هارون– دار الجبل –بيروت– المجلد 4– ط 1، 1991، ص 508.

كذلك بمعنى الفسيحة الفاصلة بالمفهوم المكاني والزماني للكلمة، في اللغة العربية فترجم هذه الكلمة إلى كلمة فضاء أو فراغ أو مجال أو حيز"[1].

والفضاء عند الفيروز أبادي لا يختلف معناه كما جاء لسبق قوله حيث قائلا " الفضاء الساحة وما اتسع من الأرض".[2]

ومن الأحاديث يعثر على واحد يراد به الدعاء، نصه: " لا يفضي الله فاك ومعناه أن لا يجعله فضاء لا سنن له".[3]

وقصارى ما يمكن قوله في معنى لفظ "الفضاء" أنه يتسم بمعاني كثيرة، وأن له من الصفات السعة والاستواء، وإذا يضيف (ابن منظور) صفة ثالثة هي الفراغ والخلو، حيث يقول:

"الفضاء الخالي الفارغ الواسع من الأرض"[4]، حيث تغدوا الصحراء هي الأخرى لاتساعها وخلوها واستوائها حقيقة بهذا الاسم، ذلك ما يؤكده (ابن منظور) بقوله: "والصحراء فضاء"[5]، هذا مجمل ما رشح في وعاء لفظ "الفضاء" من معان في المعاجم العربية.

ومن هنا يمكننا القول أن المفهوم اللغوي للفضاء لا عن المكان كون (المكان حدا واحدا وهو (الحاوي) أو الكائن) سواء كان مدركا بالحراس أم بالتصور الذهني.[1]

---

[1]مارى إلياس–حنان قصاب حسين –المعجم المسرحي (مفاهيم مصطلحات المسرح وفنون العرض) مكتبة لبنان ناشرون– بيروت لبنان– ط1، 1997، ص 337–338.

[2]الفيروز أبادي (مجد الدين محمد): القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1999– المجلد 4، ص 435.

[3]ابن منظور: "لسان العرب": الجزء 15، ص 158.

[4]ابن منظور: "لسان العرب": الجزء 15 ص 156.

[5]المرجع نفسه 157.

فالفضاء لغة يحمل صفة الاتساع والخلاء والاستواء والفراغ.

**ب- اصطلاحا:**

يعتبر مصطلح الفضاء (espace) من المصطلحات المتداولة في ميدان الدراسات النقدية الحديثة التي أولته اهتماما كبيرا باعتباره "المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب المعاصرين جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر"[2]، غير أننا لا نكاد نعثر على تعريف واضح للفضاء في المراجع المتخصصة لأن الجهود التي خاضت غمار البحث كانت عبارة عن نظريات واجتهادات لم تصل إلى تشكيل نظرية عامة للفضاء: "فلا وجود لنظرية مشكلة من فضائية حكائية ولكن هناك فقط مسارات للبحث مرسومة بدقة كما توجد مسارات أخرى على هيئة متقطعة"[3].

لذلك لم تتجمع تصورات كافية تمكن من وضع مسارات منهجية واضحة وتحديد تعاريف دقيقة. فالفضاء من العبارات التي تداولتها الدراسات الحديثة حيث يستند في تكوين مفاهيمه إلى الاجتهادات المختلفة ومن الأسماء التي اهتمت بالبحث في هذا التصور (حميد لحميداني) الذي خصص في كتابة (بنية النص السردي) فصلا موسوما بالفضاء الحكائي تطرق فيه إلى مستويات البحث النظري في

---

[1]هيلة عبد الرحمان المنيع: أبعاد المكان في ساعرية المرأة العربية المعاصرة رسالة دكتوراه (كلية التربية للبنات بالرياض) 1424-1425، نقلا عن أهل بيت محسن سالم رشيد العمري المكان في الشعر الأندلسي، عصر الملوك والطوائف – رسالة دكتوراه في الأدب، ص 4.

[2]مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد عالم المعرفة، ع 140، 1998، ص 122.

[3]عمروعيلان، الإيديولوجية وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2001، ص 212.

موضوع الفضاء[1]، إذ حاول أن يقدم أهم الأشكال التي يمكن اعتمادها في دراسته حيث اقترح لذلك: الفضاء الجغرافي والفضاء الدلالي والفضاء منظورا أو رؤية.

كذلك نجد الباحث حسن نجمي من الذين تبنوا المصطلح، ويرى أن الفضاء الروائي ليس مجدّد تقنية أو تيمة أو إطار للفعل الروائي بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ثم يقر بأن أي إلغاء له إنما هو قمع لهوية الخطاب الروائي.[2]

فالفضاء يدين ببعض الفضل في تشكله لإسهامات قديمة تقدم بها مؤلفون من فئة الفلاسفة والمتكلمين، لهذا كان لزاما على كل باحث عن جذور المصطلح أن يولد، بمصنفات الفلسفة وعلم الكلام، من أجل إحداث مقاربة منهجية من شأنها أن تعزز موقع الفضاء في الدراسات العربية المعاصرة، وتمنحه مشروعية التواجد على حساب مصطلحات أخرى قد تنازعه على موقع ذلك. ولما كان التطور من سنن العلوم والمعارف، لما كان المصطلح أداة للمعرفة، وهو في الحين نفسه نتيجة لها من حيث إنه يشكل موضوع علم قائم بذاته (علم المصطلح) خاضعا لهذا الناموس، فنحن لا نشك في أن التصور الذي يثيره في أذهاننا اليوم مصطلح الفضاء هو حصيلة تنقله في مدارج العلم والفلسفة والأدب، هذا ما يؤكده لنا الدكتور (حسن نجمي) بقوله: "ذلك أن ما كان يفهمه قدماء اليونان، أو قدماء العرب المسلمين، من مفهوم الفضاء، ليس هو ما فهمته أوروبا النهوضية، أو أوروبا القرن التاسع عشر، وليسهو ما نفهمه اليوم من هذا المفهوم في مجموع استعمالاته وتوظيفاته الاستاتيقية والأدبية والفلسفية...."[3].

---

[1]أنظر حميد لحميداني: بنية النص السردي، بنية النص السردي، بن منظور، النقد الأدبي، المركز العربي، الدار البيضاء، ط2، 1993، ص 53.

[2]أنظر حسن نجمي، شعرية السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 59.

[3]حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 36.

الفضاء هو فضاء خيالي وهمي ولن يكون في النهاية إلا فضاء وهميا وفضاءا إحائيا[1]، يعتبر الفضاء من تجسيد خيالي روائي وهو ليس حقيقي وله دلالات مختلفة يستخدمه الروائي فيما يوافق خياله لإيهام القارئ بواقعية روايته، فالفضاء الذي درسه الشعريون يتميز بكونه "ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة نفسها[2]، والفضاء عامة يمتلك معاني كثيرة من أجل إيصال رسالة غير مباشرة.

"الفضاء هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال بقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء"[3].

الفضاء هو المكان الواسع الذي يستخدمه الروائي لإعطاء مصداقية واسعة لروايته ويكون لهذا الروائي أكثر حرية في استخدام الأمور الخارقة ويكون حرا في تحريك الشخصيات والزمان والمكان وهذه الحرية ما يحسب للفضاء عكس المكان الذي يعيد الروائي في بعض مواضعه.

فالفضاء في الرواية ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث، أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المتشاركة فيها ونصادف من هنا "وجهة النظر" الذي وصل به جميس وكونراد وجويس وتابعوهم إلى الدقة القصوى[4].

---

[1] نفس المرجع، ص 48.

[2] Possum,Guyon (F.V) : critique du roman, Paris, Ed, Gallimar,1970, p288.

[3] حسن نجمي،شعرية الفضاء، ص 32.

[4] Weisgesber (Jean): l’espace ramanes que, Lausane,Ed l’age d’homme, 1978, p14

يعرف أنه الفضاء الرحب الذي يحددها وتحدده ويحيط بنا من كل جانب من فوقنا ومن تحتنا وشمائلنا، لا نهائي، يؤدي دور ذا أهمية في عملية الفهم والتفسير باعتباره مكونا من مكونات الخطاب الأدبي.[1]

ويمثل الفضاء عنصرا مهما في ترتيب العلاقات الاجتماعية والثقافية وتنظيم أفعال الكائنات ووعي سلوك الأفراد والجماعات والتي تنبه إلى نوع من اختراقات الفضاء لنا، لأجسادنا، لأفكارنا، لوجداننا ولمعارفنا "ولقد شكل الفضاء على الدوام محائيا للعالم، تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، معيارا لقياس الوعي والعلائق والتراتبيات الوجودية والاجتماعية والثقافية ومن ثمة تلك التقاطبات الفضائية التي انتبهت إليها الدراسات الأنتروبولوجية في وعي وسلوك الأفراد والجماعات".[2]

عرف المكان وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي والفني في نظرية وجمالياتها في النظرية الأدبية الحديثة، وتطور هذا المفهوم أكثر وانتشر في خريطة النقد الأدبي مع جان بيير ريشار وجيبير ديوران، وغاستون باشلار من خلال كتابه "شعرية المكان" المؤلف عام 1957, الذي ترجمه غالب هلسا عن الإنجليزية إلى العربية عام 1980 بعنوان "جماليات المكان" فصار هذا المفهوم واضحا أكثر في النقد الأدبي العربي الحديث.[3]

---

[1] عزوز علي إسماعيل، شعرية الفضاء الروائي عند جمال الفيطاني ط 1، 2010، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ص 40، 41.

[2] حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية ط 1، 2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت (لبنان)، ص 05.

[3] ينظر عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م، س، ص 124.

ويعد المكان من أهم مفاتيح قراءة النص الروائي لما يشكله من علاقات مع مكونات النص الروائي: الزمن، الشخصيات، الحدث وقد يبرز هذا التأثير بشكل خاص في علاقات المكان بالشخصية الروائية، ومن هنا لا غرابة أن يحدد المكان اتجاه النص الروائي وطبيعته. والمكان عموما ليس عاملا طارئا في حياة الإنسان، فالمكان لا يتوقف حضور على المستوى الحسي، وإنما يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني حافرا مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة ليصبح جزءا صميما منها، وذلك لأن المكان يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم، ومن خلاله نتكلم وعبره نرى العالم ونحكم على الآخر، لذلك أخذ المكان الصدارة في الرواية الحديثة، مع استحداث لفة العلاقات المكانية، والتي تضم مفاهيم خاصة كالعلاقة بين الأعلى والأسفل، القريب والبعيد، النص المنفتح والمنغلق،...حيث للمكان دلالاته من خلال القرائن التي تشير إليه.

النص الروائي ينقل المادة المكانية الخام كما هي في الواقع إلى أفاق جديدة من الانزياح من الرؤية التخيلية التي تصنعها اللغة وهذا ما ينقلنا من الوعي الحدسي المباشر بالأمكنة إلى الوعي الجمالي الذي يكمن في طبيعة الفن الذي يتجه إلى عمق الأشياء ومكوناتها، دون أن ينفي ذلك أن المكان الحدسي المباشر يبقى نقطة الانطلاق في قراءة المكان الروائي وتأويله.

## 2-مفهوم المكان:

**أ- لغة:** أورد ابن منظور لغة "مكان تحت الجذر لكون من الكون (الحدث).

وأعاد الحديث عن تحت الجذر (مكن) فقال والمكان الموضع، والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكاني فعالان لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر مكان أو موضع منه"[1].

ويذهب إلى سيده إلى أن المكان "جمع أمكنة، فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية"[2]، والمكان "اشتقاقه من كان يكون ولكنه كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية"[3].

ويذهب ابن بري إلى أن "مكين فعيل، ومكان فعال، ومكانة فعالة ليس شيء منها من الكون فهذا اسموا وأمكنة أفعلة، وما تمكن فهو كفعل كمتمدرع مشتق من المدرعة بزيادة فُعلى قياسية يجب في تمكن تمكون لأنه تفعل على اشتقاقه تمكن وزنه تفعل"[4].

والمكان "الموضع والمكانة يقال فلان يعمل على مكينة أي على اتقاده والمكانة المنزلة عند الملك والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير، وقد مكن مكانه فهو مكين"[5]، ووردت كلمة مكان عند اللغويين بمعادن متقاربة، تكاد تتفق على أن المكان هو الموضع الجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع"[6].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 6، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص 83.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، باب النون، تح: علي بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر، د، ط، 1994، ص 488.

[5] ابن منظور: لسان العرب، الجزء 15، ص 82.

[6] الزبيدي، تاج العروس، ص34.

وفي القرآن الكريم يرتبط فعل الكون بالخلق والوجود، ونجد هذا واضحا في قوله تعالى: "إنما أمره إذ أراد شيئا أن يقول له كنْ فيكون"[1] وقد وردت كلمة (مكان) في القرآن الكريم بسياقات عديدة منها مكان البيت، ومكان قريب فقد جاء في قوله تعالى: "واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب"[2].

وقد جاءت هذه اللفظة مجازا بمعنى المنزلة[3] في عدّة آيات من القرآن الكريم قوله تعالى: "ورفعناه مكانا عليا"[4] ويبقى تحديد مصطلح المكان لغويا متباينا في الكثير من التفسيرات التي قد يتوافق بعضها مع الآخر ويتناقض البعض الآخر، مع غيره وهذا لاتساع دلالته اللغوية وعدم محدوديته.

**ب- اصطلاحا:**

كلمة مكان لها الكثير من الدلالات، وقد اقتحمت العديد من الميادين المعرفية فقد وجدت هذه اللفظة صدها في مختلف الميادين العلمية والأدبية وقد حظي المكان باهتمام الفلاسفة، والنقاد قديما، وحديثا، فقدموا تعريفات عديدة له، فقد أورد الجرجاني تعريفين هما: المكان المبهم والمكان المعين[5]، والمكان المبهم عنده "عبارة عن مكان له اسم نسميه به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالخلق...والمكان المعين هو عبارة عن مكان له اسم سمي به بسبب أمر داخل في مسماه كالدّار، فإن تسميته بسبب الحائط والسقف وغيرهما وكلها داخلة في مسماه"[6]، وقد وجد الجرجاني أن المتكلمين عرفوا

---

[1] سورة يس، الآية 82.

[2] سورة ق، الآية 41.

[3] ينظر، مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة، ط 2، 1989، ص 544.

[4] سورة مريم، الآية 57.

[5] ينظر الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأتياري، دار الكتاب العربي، بيروت ط4، 1998، ص 292، ص 293.

[6] المصدر نفسه، ص 292.

المكان بأنه "الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده"[1]، حيث بحث في مفهومه للمكان ودلالته، وقسم المكان إلى عدة تقسيمات.

ووجود الإنسان وتموقعه في المكان يشكل "مكان لعبوره أيضا وهو مكان للوعي يختزل عبر الوعي بالأمكنة كلها ابتداءا من الأمكنة الصغرى والكبرى المألوفة وانتهاء بالمكان المطلق (الكون)"[2]، لأن الإنسان يرتبط بالمكان، ووجوده في المكان يحتوي المكان بوعيه وإدراكه إياه، بفكره، وعواطفه ونفس، فقد بات واضعا أن المكان يرتبط جذريا بفعل الكينونة للعيش والوجود، وفهم الحقائق وصياغة المشروع الإنساني[3]، والإنسان "يحول معطيات الواقع المحسوس، وينظمها لا من خلال توظيفها المادي،.... بل من خلال إعطائها دلالة وقيمة وتكتسب عناصر العالم المحسوس ودلالتها"[4].

ومن هنا لا بد من الإشارة إلى اهتمام الفلاسفة لمصطلح المكان ابتداءا من أفلاطون حيث يعتبر أن "المكان حاويا وقابلا للشيء"[5]، ثم توسع فيه أرسطو حيث قال "إن المكان هو السطح الباطن المماس للجسم الحوي، وهو على نوعين: خاص فلكل جسم مكان يشغله ومشترك يوجد فيه جسمان أو أكثر"[6]، فقد أضاف أرسطو طابعا حسيا ملموسا للمكان لأن المكان مرتبط في الواقع بالوجود الإنساني.

أما في الدراسات الحديثة فيعرفه يوري لوتمان (youri lotman) بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة... تقوم بينها علاقات شبيهة

---

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1997، ص 15.

[3] ينظر ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط 1، 1986، ص 64.

[4] مجموعة مؤلفين، جماليات المكان، تر: سيزا قاسم وآخرون، الدار البيضاء ودار قرطبة، لبنان، ط 1، 1988، ص 64.

[5] حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 1، 2006، ص 18.

[6] محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ص 288.

بالعلاقات المكانية المألوفة والعادية مثل الاتصال والمسافة"[1]، فقد نقل لوتمان المكان من المستوى الفلسفي إلى المستوى السيسيولوجي، وأكد على أهميته تحت نظام العلاقات القائمة بين الأشياء التي تخضع بتغيرات مختلفة في الأشكال و "إن نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العام التي ساعدت الإنسان على مراحل تاريخية على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به نقول إن هذه النماذج تنطوي دوما تحت سمات مكانية"[2].

فمرجعية الإنسان الأولى تعلقت بالمكان ليبني منظومته، كما أن المكان هو الركيزة الأساسية التي يتعامل بها الإنسان مع الوسط الذي يعايشه، وينتمي إليه.

فالمكان في نظر يوري لوتمان حقيقة معيشة تؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي ويحمل المكان قيما تنتج من التنظيم المعماري كما نتج من التنظيم الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على الناس الذين يلحون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة[3]، فكل مكان حسب لوتمان يفرض طقوسه وخصوصيته على الفرد الذي يوجد فيه فهو ملزم وخاضع لتلك القواعد التي تحكمه ونفرض كيونتها على الإنسان. فتختلف دلالة المكان من جلالة جغرافية إلى دلالة فلسفية وحتى هندسية حسب تموضع الأمكنة.

هذا واهتم غاستون باشلار بمفهوم المكان وعلاقته بالإنسان حيث أنجز مجموعة من الدراسات من أهمها كتاب "شعرية المكان" وترجمة غالب هالسا تحت "جماليات المكان" وقد تناول فيه باشلار الجانب الجمالي للأمكنة كما أوضح هلسا أن النقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف هي أن البيت القديم بين

---

[1] يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة): تر: ميزا قاسم مجلة ألف، العدد 6، 1986، ص 89.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 83.

الطفولة هو مكان الألفة ومركز تكيف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذاكره ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية، ذلك الإحساس بالجمالية والأمن اللذين كانا يوفرهما لنا البيت القديم[1].

وتظل خصوصية المكان القديم بين الطفولة، ذات تأثير كبير على ذاكرة الإنسان مهما ابتعد عنه جسديا إلا أنه يظل قابعا ومحفورا في ذاكرته. كما يرى باشلار أن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال، لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذات أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز[2]،

فهنا يؤكد باشلار أنه لا يوجد موضوع دون ذات، بل الخيال بالنسبة للمكان يلغي تلك الموضوعية. فهو يجعل للذات موضوعها الخاص المستقل عن الواقع لأن "الإحساس بالمتناهي في الكبر يوجد داخلنا ولا يرتبط بالضرورة بشيء"[3]، وهنا يظهر الوعي الإنساني في تحويل الأمكنة سواء ربطه بالأشياء وبالخيال أو بالإحساس. وقد ساهم باشلار في بناء تصور جمالي للمكان.

كما يرى حسن البحراري أن المكان لا يعيش متحررا في عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة من المكونات الحكائية الأخرى من السرد كالشخصية والأحداث والروايات السردية[4]، كما أن المكان يعتبر مكونا محوريا في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور حكاية في مكان محدود وزمن معين[5].

هناك من ينظر إلى المكان على أنه وسط غير محدود يشمل الأشياء[1]، والمكان عند غاستون باشلار هو "ما عيش فيه ى بشكل موضوعي، بل بكل ما للخيال من حيز، وهو بشكل خاص في الغالب

---

[1]غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1984، ص 30.

[2]ينظر غاستون باشلار، المرجع نفسه، ص 33.

[3]غاستون باشلار، بناء الرواية، ص 33.

[4]حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1990، ص 26.

[5]محمد بوغرة، تحليل النص السردي، دار الأمل، الرباط، ط1، 2010، ص 99.

مركز اجتذاب دائم"[2]، كما أن المكان في الرواية بناء رمزي تخيلي وليس تسجيلا للحياة أو صورة فوتوغرافية لها"[3]. وعليه فإن المكان في الرواية قائم في خيال المتلقي وليس في العالم الخارجي لا صنعة الكاتب فهو ليس مكانا معتادا كالذي نعيش فيه أو تخترقه يوميا لكنه يشكل عنصر من مكونات الحدث الروائي.

المكان عنصر مهم من عناصر البناء الفني "فهو ليس بناء خارجيا ولا حيزا محدود المساحة ولا تركيبا من غرف وأسيجة ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المتغير أو المحتوى على تاريخ ما[4]، يمكننا كذلك القول إذ "إن المكان حقيقة معيشة ويؤثر في البشر بالقدر نفسه الذي يؤثرون فيه"[5].

فالمكان في الرواية هو المكان اللفظي المتخيل الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض تخيل القارئ له وحاجاته وكذا إتمام شبكة العلاقات التي يقيمها مع بقية عناصر السرد المتبقية ذلك أن المكان الروائي بناء لغوي يسيده خيال القارئ والطابع اللفظي فيه يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير فيها.

من تعدد تعريفات المكان من الناحية الجغرافية اعتباره سياقا جغرافيا وحيزا ما، أما المكان اجتماعيا فهو "الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولطا فشأنه

---

[1]إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة 1983، ص 191.

[2]بشلار غاستون، جماليات المكان، ص 76.

[3]سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، ص 76.

[4]ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، ص 8.

[5]يوري لوتمان، المكان بدلالته، ترجمة سيزا قاسم، ص 83.

شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه"[1]، ولقد كانت الرواية تلك المحبة تحمل مجموعة كبيرة جدا الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه"[2].

## 3-التمييز بين الفضاء والمكان

"رولان بورنزف Bronazef يرى بأن الفضاء داخل الرواية هو أكثر من مجموع الأمكنة الموصوفة"[3]، ويرى أرخيتاس Arkhitess (428-347 ق م) أن هناك فرق بين المكان "lopos" والفضاء"apeironpneuma"، هذا الأخير يختلف عن المادة ومستقل عنها. كما يعتبر المكان والفضاء بالنسبة لأرسطو أمرا حاسما نظريا لكنه ملتبس عند التطبيق ففيما يعتبر "المكان" الحدود الحافة بموضوع محتوى يعد الفضاء الحدود الداخلية للوعاء فضاء، غير أنها لا تحتل نفس المكان دائما.

فالتمييز الأرسطي بين المكان والفضاء هو من الواقع تمييز للفكر وحده. ويرى جون لوك JoneLok أن الفضاء هو المسافة بين نقطتين في حين أن المكان هو علاقة المسافة بين نقطة أو نقطتين أو أكثر[4].

---

[1]عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، سنة 1998، ص 57.

[2]ياسين النصير، الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، ط2، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2010م، ص 16- 17.

[3]جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، ترجمة عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2002، ص 41.

[4]ينظر: جوزيف. إ. كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن أحمامة، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2003، ص 18-21.

أما الناقد المغربي حميد لحميداني يرى أن الفضاء أوسع وأشمل من المكان في حين أن المكان هو مكون للفضاء وبالتالي فإن المكان متعلق فقط بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي والفضاء يفترض دائما تصور الحركة داخله، أي يفترض الاستمرارية الزمنية أما المكان فهو محدد في الرواية ويفترض دائما زمنيا لسيرورة الحدث، ويمكن تصور الفضاء الروائي دون تصور الحركة التي تجري فيه في حين أنه يمكن تصور المكان الموصوف دون سيرورة زمنية حكائية[1].

## 4-الفضاء المكاني

يعد الفضاء عنصرا هاما من عناصر الرواية، باعتباره ذلك الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات في صراعها مع الواقع، هذا الأخير الذي بدوره يجعل الكتاب ينفعل، يثور فينتفض بذلك العبارة عن أوراقه، لتنبثق منه الألفاظ والعبارات .... ونظرا لهذه الأهمية التي يلعبها هذا العضو الروائي داخل النص السردي.

فإذا حاولنا إعطاء تعريف بسيط للفضاء المكاني تقول أنه تلك "الطبيعة الجغرافية التي تجري فيها الأحداث والمحيط وما فيه من ظروف وأحداث تؤثر في الشخصيات"[2].

لهذا فمن غير الممكن تصور أحداث قصصية إلا بوجود فضاء تنموا فيه، ضف إلى ذلك أن مسار الشخصيات ونمو السرد مرهون بوجود الفضاء، كما أن الحدث " لا يقدم سوى مصحوبا بجميع إحداثيات الزمنية والمكانية"[3]، ومن وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية[4]،

---

[1]ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 63.

[2]إبراهيم السعافين: تحولات السرد، دراسة في الرواية الغربية، دار الشرق، (د، ط)، عمان الأردن، ص 15.

[3]حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 29.

[4]حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز العربي، الدار البيضاء، ط 2، 1993، ص 45.

فالفضاء بهذا المعنى هو الذي يؤسس الحكي، لأنه "يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر حقيقي".

يكتسب الفضاء في الرواية أهمية كبيرة شأنه شأن الزمن، إذ يمثل المكان والزمان في الرواية وحدة عضوية واحدة لا تنفصم (...)، والمكان هو ذلك البقعة من الأرض أو المبنى الذي يمكن الإنسان على الأرض "أن يجعله مكنيا قادرا على الحياة على الأرض"[1]، فالفضاء المكاني بمكوناته يساعد على فهم الشخصيات التي تقطنه، فهو الذي يعكس وضعها الاجتماعي و تكوينها الفكري، وبالتالي يمكننا من أ، نفه الأوضاع السائدة في مجتمع من المجتمعات، أو مدينة من المدن، فهو "لا يتشكل إلا رؤية ذلك المكان، وزاوية النظر التي ستقودنا نحو معرفة المكان وتملكه من حيث هو صورة تنعكس في ذهن الراوي، ويدركها وعيه قبل أن يعرضها علينا خطابه"[2]

أضف إلى ذلك أن المكان يكشف على عادات سكانه وتاريخه "فوصف الأثاث والأغراض داخل المكان، هو نوع من وصف الأشخاص الذي غنى عنه، فهناك أشياء لا يمكن أن يفهمها القارئ إلا إذا وضعنا أمام ناظريه الديكور وتوابع العمل ولواحقه"[3].

فالفضاء دون سواه يثير إحساسا بالمواطنة، وإحساسا آخر بالمحلية، حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه " فقد حمله بعض الروائيين تاريخ بلادهم ومطمع شخوصهم، فكان وكان: واقعا ورمزا

---

[1] شاكر النابلسي: "مدار الصحراء"، دراسة في أدب عبد الرحمان منيف، بيروت، (د، ط)، 1993، ص 19.

[2] حسن بحراوي: بنيو الشكل الروائي، ص 100-101.

[3] ميشال يوتور: "بحوث في الرواية الجديدة"، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 2، 1982، ص 53.

تاريخيا قديما وآخر معاصرا، شرائح وقطاعات، مدنا وقرى: حقيقية وأخرى مبنية في الخيال، كيانا تتلمسه وتراه وكونا مهجورا أغرقته سديمات لا نهاية لها"[1].

فالفضاء إذن يحتل أهمية خاصة في تشكيل العالم الروائي ورسم أبعاده، ذلك المكان مرآة تنعكس على سطحها صورة الشخصيات، وتكشف من خلالها بعداه النفسي والاجتماعي، إنه يسهم في "قسمها بالمظاهر الجسدية، ولباسها وسلوكها، وعلاقتها بسواها، فما أكثر الأحيان التي يتمكن فيها البيئي– المكاني من تحديد هوية المنتسبين إليه[2].

وتتراوح صور الفضاء في العمل الروائي، فإما أن يكون متخيلا كله، أو امتداد للواقع أو يأتي واقعيا صرفيا، "لكن الغالب على الظن أن كثير من الروائيين يتجهون إلى الإحياء بواقعية المكان"[3]، رغبة منهم في إقناع القارئ بواقعية الأحداث، فأينما نظرت في هذا الأثر طالعك المكان، فهو جوهر مادته الروائية، ومما زاد في حضوره وتأثيره أنه ليس فضاء مفترضا، ساقته صدفة الرواية واعتباطية الخيال المبدع في سعيه إلى إيجاد إطار للقصة، بل هو فضاء تاريخي فعلي حقيقي"[4].

ويؤكد ياسين النصير أن الفضاء يصح أن ينقسم إلى الفضاء الموضوعي والفضاء المفترض، وتتخلص خصائصه: الأولى من أنه يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية وتستطيع أن تؤشر عليه بما

---

[1] ياسين الناصير: الرواية والمكان، ص9.

[2] صلاح صالح: قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، ص 133.

[3] عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، دراسة في ثلاثية خيري شلبي (الأمامي لأبي علي حسن: ولد خالي)، تقديم: أحمد إبراهيم الهواري، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2009، ص 140.

[4] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، ط3، دار محمد علي للنشر، الجمهورية التونسية، (د، ط)، 2003، ص 171.

يماثله اجتماعيا وواقعيا أحيانا، أما الخاصية الثانية فهو ابن المخيلة البحث الذي تتشكل أجزاءه وفق منظور مفترض وهو قد يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح المعالم.

يقوم هذا التقسيم على فرضية "أن الإحساس بالمكان أتى نتيجة انعكاس الواقع الموضوعي على مخيلة الفنان، لذا نجد هذا الإحساس عميقا تارة وسطحيا تارة أخرى، وبالطبع ى نعني بالمكان هنا قيمة مجردة من فعل الإنسان أو من الأحداث التي تجري على أرضيته، وإنما نعني به القيمة التي يشكلها في العمل الروائي"[1].

والمكان الفضائي باعتباره نسيجا فنيا، حيزه وأبعاده من وصف الروائي له، ويمكن التفريق بينه وبين المكان الواقعي، من خلال أن المكان المتخيل بناء لغوي فضاء تصنعه اللغة، وتقيمه الكلمات انصياعا لأغراض التخيل وحاجاته[2]، ولعل في ارتباط الروائي بالمكان الذي يشكله، أهم ما يكسبه حميمية خاصة وقدرة على التماهي مع أبعاده.

في حين نجد "ياسين النصير" يقسم المكان إلى نوعين الأول المكان الموضوعي والثاني المكان المفترض، وتتخلص خصائص الأول من "أنه يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية وتستطيع أن تؤشر عليه، بما يماثله اجتماعيا وواقعيا أحيانا، أما خصائص الثاني فهو ابن المخيلة البحث، الذي تتشكل أجزاءه وفق منظور مفترض وهو قد يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح"[3].

يرى لوتمان (youri lotman) أن الفضاء المكاني ينشأ من التقطبات المكانية وربطه بالعمل الفني معتمدا على ثنائيات ضدية كونها تحتوي وظائف المكان داخل النص لأن المكان ليس فضاءا

---

[1] ياسين الناصير: الرواية والمكان، ص 22.

[2] مصطفى الضبع: إستراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية، القاهرة العدد 79، ص 101.

[3] ياسين الناصير: الرواية والمكان، ص 22.

موضوعيا محايدا وإنما هو مكان روائي فني يتم تصويره من وجهة نظر، ومن خلال زاوية رؤية وعبر التفاعل الذي ينشأ في الفضاء. والإنسان كما يرى لوتمان "يخضع للعلاقات الإنسانية والنظم لإحداثيات المكان ويلجأ إلى اللغة لإضفاء إحداثيات مكانية على المنظومات الذهنية"[1]، فوقف على ثنائيات ومقابلات بين القيم والأماكن، فالقريب يقابل البعيد واليمين يقابل اليسار والقيم يقابل الرخيص والحسن يقابل السيء والمفتوح يقابل المغلوق.

فقد أضفى لوتمان صفات مكانية على الأفكار المجردة حتى يساعده ذلك على تجسيدها وتستخدم التعبيرات المكانية يتبادل المجرد مع المفهوم بحيث يكون هذا التجسيد المكاني منطبقا على العديد من المنظمات الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية[2]. فهناك يجسد لوتمان الأمكنة بناء على تقابلات وتمثيلات، وهو بذلك يتجاوز الحد الجغرافي للمكان إلى حد اجتماعي واقتصادي، فالفضاء المكاني عند لوتمان يحيلنا إلى فضاء روائي وإلى بناء فني للرواية، وقد استطاع لوتمان من خلال دراسته للفضاء النص أن يضيف حقلا معرفيا واضح الدلالة للنقد ككل وللدرس السردي بخاصة تناوله لمفهوم التقاطبات المكانية، ومن جهة أخرى ضبطه لمفهوم الحد الذي يحوي مفهومين للفضاء وهما الفضاء الممنوع والفضاء المباح "وعلى أساسه يقسك الفضاء ممنوع وآخر مباح، وقد يحدث هذا الفصل بين الأهل والغرباء، والأحياء والأموات، الأغنياء والفقراء، ونجد تجسدا لذلك في الحكاية العجائبية حيث ينقسم الفضاء إلى "منزل" والغابة والحد الفاصل بينهما يبين أنه حافة الغابة أحيانا يكون النهر"[3].

---

[1] سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، ص 75.

[2] ينظر، سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية ص 75.

[3] Youri lotman, la structure du texte artistique, traduit du russe paranne foumier et l'autres, Ed Gallimard, 1973, p 321.

وهذا الحد سيجعل هناك أماكن مباحة، وأماكن محظورة وطريقة في التقسيم تعد من السمات الأساسية التي يعتمدها في فضاءاته.

فالفضاء المكاني كما اصطلح عليه حميد لحميداني "لا يتشكل إلا عبر المساحة مساحة الكتاب وأبعاده، غير أنه مكان محدود ولا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال، فهو مكان تتحرك فيه على الأصح، إذن بكل بساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة"[1]، فقد قصد بدراسة الفضاء الروائية دراسة المكان الذي تجري فيه القصة.

تعددت مقولات النقد العربي حول مفهوم المكان في الرواية ولا يمكننا على أي حال أن نحيط بها جميعا فقد قاربنا بعض المصطلحات الأكثر تداولا في الساحة النقدية، وقد عد حميد لحميداني الفضاء أنه أكثر شمولية من المكان "إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان بهذا هو مكون الفضاء إنه شمولي، إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي"[2].

فالفضاء سابق الأمكنة أسبقيته تتمثل في وجوده واحتوائه لكل الأمكنة، إن اللغة هي التي اعدد الأمكنة، ومن خلالها هي التي ستحيط بكل المشاعر والتصورات المكانية التي في وسعها التعبير عنها[3]، وإن الفضاء مهما كان نوعه لا يمكن أن يوجد خارج اللغة فالمكان هو الذي ينظم الأشياء ويوزع العناصر ضمن بنية سردية منتظمة تنظم العمل الروائي.

---

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 62

[2] المرجع نفسه ص 63 .

[3] ينظر: حسن بحراوي بنية الشكل الروائي، ص 27.

وبما أن اللغة هو الأساس فإنها "تظل هي المدخل الضروري لدراسة الفضاء الروائي"[1]، لهذا فالروائي يهتم ويولي للغة الاهتمام الأكبر في سرد الأحداث ووصف الشخصيات والتعامل مع الأمكنة والفضاءات على اختلاف أنواعها، ولا نستطيع على هذا الأساس، إلا أن نستنتج بأن المكان هو ركيزة الفن الروائي.

يمثل الفضاء المكاني في الرواية، ملمحا مهما في الدراسات السردية عموما أو الروائية خصوصا، لما له من هيمنة على باقي العناصر الروائية، فلا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب دورها في الفراغ أو اللامكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان بوصفه عنصرا حكائيا قائما بذاته إلى جانب العناصر الأخرى المكونة للرواية، لا محتوى للشخوص والأحداث فحسب وعلى الرغم من أهمية المكان في الحكي، فإن الدراسات السردية لم تتفق حول مصطلح محدد للمكان فاختلف النقاد حول أي هذه المصطلحات الأشمل في الدلالة (الحيز والفضاء والمكان).

فعال عبد الملك مرتاض لمصطلح الحيز أو الفضاء وتميل الباحثة لمصطلح الفضاء لما فيه من رحابة واتساع أكثر من المكان أما حميد الحمداني، فقد بنى تصوره للفضاء على أن الحيز المكاني في الرواية يطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي لأن المكان برغم كونه أقدم المصطلحات غير أنه يبعث في ذهن المتلقي بالأبعاد الجغرافية المحيطة بالشخصية.

ومن ثم ارتأى الحميداني أن التمييز بين الفضاء والمكان ضرورة تفرضها طريقة وصف الأماكن في الرواية التي تتشكل عادة على نحو متقطع من ناحية، واتصال ضوابط المكان بلحظات الوصف من ناحية أخرى، وهي بدورها لحظات متقطعة أيضا تتبادل الظهور مع السرد، والحوار، فضلا عن أن تنوع

[1] حسن نجمي . شعرية الفضاء، ص 46.

الأحداث وتطورها في الرواية يحتم تعددا في الأمكنة واتساعها وتقلصها، ولهذا قد تتعدد الأماكن في الرواية لأنها مهما حدد الكاتب أمكنتها، تفتح الطريق دائما لخلق أمكنة أخرى، حتى ولو كان ذلك المكان في ذهن الشخصية فطريقة وصف المكان وعرضه في الرواية هو الذي يمنحه المصطلح الأدق والأنسب، ومن هنا تتضح نقطة الاختلاف بين الفضاء والمكان في الرواية فإن مجموع الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان وهذا يؤكد أن المكان جزء من الفضاء وأنه مهما تعددت الأماكن وتفاوتت في الرواية فإن الفضاء هو الذي يشملها جميعا.

# الفصل الثاني: تجليات الفضاء المكاني

# في رواية " وصية المعتوه"

1. تشكيلات المكان في رواية " وصية المعتوه"

1.1. الأماكن المفتوحة

2.1 الأماكن المغلوقة.

تقنيات الوصف.

**تمهيد:**

إن الفضاءات المكانية التي تزخر بها الرواية العربية تتنوع من حيث الوظيفة والدلالة ويمكننا أن نميز مبدئيا بين أمكنة مغلقة وأمكنة مفتوحة، إذ يميل بعض الروائيين إلى الفضاءات المغلقة التي يعبس فيها شخصياتهم، فلا تبرح مكانها، وذلك سعيا وراء تعميق حياتها الداخلية وعدم الدفع بها إلى المغامرة في الخارج، وعلى العكس من ذلك هناك روائيون يميلون إلى توظيف الفضاءات المفتوحة حتى تتيح للشخصيات أمكنة تقيم فيها أو تخترقها، مما يسمح لها بأداء مغامرات خارجية، وهناك من الروائيين من يميل توظيف الأمكنة المغلقة والأمكنة المفتوحة لغرض توظيف ما يسمى بالتقاطبات أو الثنائيات الضدية، ولا يمكن البحث في تمفصل المادة المكانية للسرد أو في تمظهراتها السطحية، أي في توارد الوصف الطبوغرافي للأمكنة وانتقالات الشخصيات في المجال المحدد، بل يجب علينا أيضا أن نحاول الكشف عن العلاقات البنيوية العميقة التي توحد النص وتحدد مساره[1]، ورواية وصية المعتوه مفعمة بفضاءات مكانية صريحة، وأخرى ضمنية من خلال توظيف الروائي لألفاظ مبهمة مثل قوله: هنا وهناك، الخارج، الداخل.

وتأتي الأمكنة في الرواية على هيأة عالمين أو وفق رويتين: الأولى نخصّها في كيفية تموضع الأمكنة المفتوحة، والثانية نخصها في كيفية تموضع الأمكنة المغلقة، مما يحدث أهم ثنائية أو " جدلية أساسية هي جدلية: المفتوح / المغلوق"[2]، مصحوبين بمحدّدات وإحداثيات، وبدون هذه الإحداثيات والمحددات المقترنة بغيرها، فإنه لن يأتي بث الرسالة السردية، التي تأتي في صورة إخبار، إذ تخبر قارئها

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 38.

[2] صبري حافظ، قراءة في رواية مالك الحزين، الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية، مجلة فصول "مجلة النقد الأدبي"، ع: 04.س: 1989، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص 171.

بما هو موعود، فتستحل منذ البداية العناصر الخاصة بهذا البث، مثل ذكر المدينة، الشوارع، فهما يعلنان عن الحدث، فلا يمكن للقارئ أو المتلقي أن يعلم شيئا عن الحدث دونهما، لأنهما مسرح الحدث، أما تسميتها فلا مبرر له ما لم تكن هذه الأمكنة مسرحا للحدث أو فعل ما، فالرواية لا تستمد معناه إلاّ من عناصرها، ومنها المكان[1]، هذا الأخير الذي تعددت الدراسات حوله واختلفت في تصنيفه، خاصة المكان الجغرافي أو المادي القائم على الجدلية أو الثنائية حيث حاولنا أن نقسم هذا النوع من الأمكنة إلى أماكن مغلقة وأخرى مفتوحة، مما أنتج سلسلة التقاطبات داخل طرف الواحد من الثنائية مغلق / مفتوح لا تنتهي ولا تحدد بعدد معين، وذلك للقابلية الكبيرة التي يتميز بها الفضاء الروائي في أن يندمج ويدخل في ثنائيات أو تقابلات ضدية تغري بتصنيفها وتحليل مكوناتها.

ونظرا لعدم قدرتنا على حصر سلسة التقاطبات ومتابعة تعدّدها وملاحقتها في انشطارها وتناسلها اللانهائيين، فقد اقتصرنا في تمثيلنا لذلك على التقاطب الحاصل بين بعض الثنائيات الواردة في الرواية، خاصة التقاطب في ثنائية: المفتوح/ المغلوق، حيث نسجت في كيفية ارتسام هندسة الفضاء بين المفتوح والمغلوق، وهي " بالنسبة للعالم أفكار واستعارات يلصقها بكل شيء "[2]، إلا أننا ارتأينا أن نقدمها وفق الآتي.

## 1- تشكيلات المكان في رواية وصية المعتوه:

1-1- **الأماكن المغلقة:** الأماكن المغلقة هي أماكن إقامة الشخصيات وتحركها ولها أهمية في الرواية وضعها الكاتب للإشارة إلى أبعاد يكشفها القارئ أو يختارها الإنسان حسب ذوقه وشخصيته "

---

[1] جيرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، 2002، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،بيروت، لبنان، ص 71-72.

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 191.

والمكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان يبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم والقائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التألف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه "[1]، فالبيت مسكنه يحميه من الطبيعة ومخاطرها، والغرفة جزء من البيت لها خصوصيتها فهي تمتاز بالراحة والسكينة، والمدرسة مؤسسة تعليمية بها يتعلم ويتلقى مختلف الدروس، والمقهى مكان عام يجلس فيه لشرب القهوة أو الشاي أو تبادل أطراف الحديث مع الأصدقاء.

إن هذا المكان المغلق هو الذي يأوي الإنسان، فهو مكان العيش والسكن، يحوي الإنسان سواء كان ذلك بإرادته أو بغير إرادته " إن هناك دائما صراعا بين المكان كعنصر فني، وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التآلف يتضح ويتحقق بين هذان الإثنان "[2]. فالإنسان لا يتعود على المكان الذي يعيش فيه إلا إذا بدأ يتعود عليه ويتأقلم معه فتنشأ بينه وبين المكان الجديد غير المألوف علاقات جديدة ويصنع ذكريات خاصة به، ومن خلال هذه العلاقات والذكريات يبدأ التألف يتحقق بين الشخصية (الإنسان) والمكان الذي يقيم فيه فالمكان حتى وإن كان يحمل ملامح الفقر والبساطة فإذا وجد الإنسان راحته فيه يتآلف معه وتستقر حالته ويحس بالانتماء إليه.

---

[1] فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، دراسة في ثلاث روايات، (الجذور، الحصار، أغنية الماء والنار)، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين،2013، ص 163

[2] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينا، (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)،2011، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا، ص 44.

ويعرفه "الشريف حبيلة" هي الفضاءات التي ينتقل بها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره والشكل الهندسي الذي يروقه، ويناسب تطور عصره وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح، وقد جعل الروائيون من هذه الأمكنة إطار الأحداث قصصهم ومتحرك شخصياتهم"[1].

كما أنه لهذه تأثيرا كبيرا في حياة الإنسان " فهي تبعث فيه إحساسا خاصا حيث ينطوي فيها ليبعث فيه الأمل والارتياح والمتعة "[2] يقول باشلار في المكان المغلق " الوحدة المنغلقة داخل جدران لها أفكار مختلفة "[3]. ومن هذا الأساس بدأ باشلار بالإشارة إلى أن المكان المغلق تختلف أفكاره من أمكنة لأخرى فعلى عكس المكان المفتوح الذي يمتاز بالتحرر، فإن المكان المغلق يمتاز بالغموض والانغلاق، كما أنها تختلف باختلاف المكان من سجن وبيت... كما تستطيع القول أنه وفي المكان الواحد تختلف المشاعر والأفكار فقد يحمل البيت مشاعر الراحة كما قد يكون محملا بالذكريات السيئة.

والفضاء المغلق دلالة على الواقع المرير والانغلاق على الذات، وإحباط الإنسان في عدم قدرته على التفاعل مع العالم الخارجي كفضاء البيت الذي عن الألفة والتي تتذكرها مهما ابتعدنا عنها.[4]

تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا في الرواية لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، وتتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها وتجلياتها، فأخذوا هذه الأمكنة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب وحتى الخوف والتوجس، فالأماكن المغلقة، ماديا واجتماعيا، تولد المشاعر المتناقصة المتضاربة في النفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين

---

[1]الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ط1، عالم الكتب الحديثة، أزيد ص 204.

[2]علي أيتأوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000، ص 166.

[3]غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ص 162.

[4]المرجع نفسه ص 09.

الواقع[1]، فالمكان المغلق هو المكان المحدود المساحة الذي يعيش فيه الإنسان لفترات طويلة من الزمن سواء كان ذلك بإرادته أو مجبر عليه وقد يكون هذا المكان مصدر للألفة والأمان أو مصدر الخوف والذعر أن المكان المنغلق يدل على عدم الحرية التامة والمقيدة لأن " المكان المحدد بحدود ثابتة لا يتجاوزها ويرتكز في وقوع الحدث وترتاده شخصيات محددة فيخصص هذا المكان دون غيره (كالمنزل أو الجامع أو الغرفة) ويكون هذا المكان مرآة تعكس طباع هذه الشخصية التي تسكنها وسلوكها وتصرفاتها اليومية "[2]، وتمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق إذ يعني به " خصوصية المكان واحتضانه لنوع معين من العلاقات البشرية"[3].

ونحاول أن نسوق هذه الأمكنة حسب ما يسرد في النص.

- **البيت:**

البيت يمثل الرحم الأول للإنسان، البيت القديم، بيت الطفولة الذي نستقبل طفولتنا ونكوّ شخصيتنا فيه، هو مكان الاستقرار والسكينة والذكريات، ومركز الوجود داخل حدود تمنح الحماية كما يصفه " باشلار، هو مكان الألفة ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه، ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين كان يوفرهما لنا البيت.

---

[1]حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ط1، منشورات مركز أوغاريت الثقافي، فلسطين، 2007، ص 134.

[2]عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، دراسة وفي ضوء منهجي، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2007، ص 134.

[3]عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، 1944، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 186.

كما يعد البيت أيضا ركن الإنسان الأول في العالم على حدّ تعبير "باشلار" هي بقع فوق الأرض تحجب النور وتصنعه وتجعل لباحتها الصغيرة أمكانية تعويضية عن الفضاء السمح الأقل المتجدد، واستطاع الإنسان بخبرته وحاجاته وتعدد أزمنته وتعاقبها أن يوطن نفسه السكن فيه، فالغرف في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها، وحاجات تتزايد بتعدد الحاجات الجديدة، وهكذا في دائرة متشابكة مستمرة من الحياة، ترافق رحلة طويلة لا نهاية لها. ففي هذه الرواية فيمثل فضاءا مكانيا هاما تنتحب الكتابة وفق رؤية فكرية وجمالية يتبناها المبدع وقد أولت الرواية العربية أهمية كبرى للبيت كعنصر مكاني جمالي، وحيّز مؤطر للشخصية والحدث المفهوم السردي، والبيت يغني بذلك بيت الجد المتوفي وقد قدر الراوي أنه لا يبتعد كثيرا عن بيت والده ولا يفصل بينهما سوى جدار ومما زاد من عنائه في الوصول إلى البيت بالسهولة الممكنة هو عمليات التزفيت الأخيرة مما جعل كل بيوت في ديار الشمس تبدو مرتفعة خاصة وأنه لم يزر بيت جده منذ وقت طويل مستسلما لذاكرته التي أسعفته في تمثل بغض غرف البيت التي لم يطرأ عليها أي تغيير ربما كان مرده لالتزام الجد المتوفي بواجبه في حراسة مقبرة النصارى والاعتناء بها وبدل أن ينشغل الراوي في استعادة بعض أركان بيت جده كما يفعل كتاب السير المكانية المولعين بالفعل النوسطالجي لأسباب وسياقات "طللية " تتعلق بالمنفي أو الهجرة أو الاغتراب مثلما هو حال رواية المكان الفلسطينية مثلا فقد وجد نفسه يغوص عميقا في أسئلة المعزين المتوافدين على بيت جده ولغة التعاطف والمواساة التي قابلوه بها " عاش ما كسب مات ما خلا... الله يرحمو... خلاكم رجالا "[1]. في انتظار أداء صلاة الجنازة ودفن جده واستقبال لضيف آخر من المعزين.

- **المقبرة:**

[1]إسماعيل يبرير، وصية المعتوه، كتاب الموتى ضد الأحياء، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص09.

هي قبور الموتى، مقبرة النصارى، ومقبرة المسلمين (الجبانة الخضراء) ومقبرتين متواجدتين في ديار الشمس، فمقبرة المسلمين أو الجبانة الخضراء كما جاء في الرواية المكان الأكثر حضورا في هذا النص الروائي وهي المقبرة التي لا تبتعد عن مقبرتي اليهود والنصارى إلا بأمتار قليلة مما يوحي بجوار شبه حضاري مفترض بين الأموات رغم اختلاف عقائدهم ومللهم ونحلهم بعد ما كان ولا يزال مفقود لدى الأحياء الأموات هذا ما يستخلصه القارئ من دلالة رمزية إيحائية ليس بوسعه تجاهل تجلياتها وكثافة حضورها وانفجار صورها الدلالية التي حاول التشديد عليها ففي هذه المقبرة ضيع الوالد لخضر وصية والده المتمثلة في القبر الذي قام الجد المتوفي بحفره ليدفن فيه وقد جر معه المعزين إلى جدال عقيم لم ينته إلا بعد أن عزم لخضر على حفر قبر تدخل حفار القبور لمساعدته، أما مقبرة النصارى لم يحدد الناص قسما خاصا بهذه المقبرة ولكنه أيضا لم يتجاهل وجودها ولم يفضل عليها مقبرة المسلمين لقد كانت المقابر الثلاث الأبعاد في البعد المكاني الذاكراتي للراوي كموضوع للسرد والكتابة ينصهر فيه الحاضر بالماضي من أجل تقديم وظيفة سردية هي ما يسميه أمبيرتوي إيكو "السارد " تخلص الراوي من سلطة "الذاكرة الموشومة" بتعبير عبد الكبير الخطيبي طالما أن وجود هذه المقابر في المجتمع الخارج نصي لا غبار عليها وأن استدعاءها كمعطى إبداعي لتحويلها كعنصر أساسي إلى داخل المجتمع التجنيلي للرواية أملته ضرورة ارتباط هذه المقبرة بوظيفة جد الراوي الذي كان حارسا لها يعتني بها بالأزهار والنباتات التي حولها ويطرد عنها المولعين بصيد العصافير الذي يجيئونها من الأحياء المجاورة وهي كلها حسب الرواية انتصارات تحسب لهذا الجد الذي كان حريصا على أداء مهمته بمهنية لا تضاهي "وكانتسترته الزرقاء هي سلاحه الوحيد وجيشه المجيش ورقبته وعيونه على القبور والأشجار "[1].

[1] الرواية ص 11.

أما عن جبانة اليهود لم يخص الراوي بقسم من الرواية بأكمله، وفي أفنائها كان يتأمل المكان ويحاول قراءة بعض الأسماء العبرية الحاملة لهوية الموتى اليهود، خاصة وأن موقعها المحاذي لوادي ملاح كان أبرز الأمكنة الشاهدة على طفولته مستعيدا بعض ما كان يقال عنهم من طرف الآباء الذين عرفوا بعضهم أثناء تواجدهم ببلادنا ردحا من الزمن، وتعايشوا معهم بشكل لا يصدق وهنا يعود الراوي إلى تأكيد ذلك التعايش السلمي الحضاري الذي نشأ بينهم وبين الجزائريين، الذي يستقي بعض مظاهره من أقوال جده الذي كان يقول "ابني عمك اليهود والله ما يخلوك تنوض " [1] .

- **السرير:**

يعد السرير في الرواية من الأمكنة المفتاحية التي تساعد على فك جزء من مغاليق الروائية، يطلق عليه أمكنة الليل والنهار، أي أن السرير لم يكن يستعمل للنوم فقط بقدر ما كان يستعمل لتجليات النهار، حيث يدل على النوم والراحة وممارسة الجنس أو فراش الزوجية، وهي حالات الطبيعية التي يستعمل منها السرير[2]. ولقد أدى السرير كمكان في رواية "وصية المعتوه" دورا بارزا وفعالا مما أضف على شخصية إدريس نعيم بطوليا، إذ أنه لم يستعمل للنوم والاسترخاء فقط بقدر ما كان يستعمل لتجليات النهار[3].

وقد ساعدنا السرير على فك جزء من مغاليق هذا النص الروائي، وظفه الكاتب لأداء أدوار ففي هذه الرواية تجليات السرير في عدة مواقع، نجد إدريس نعيم بطل الرواية لا يلبث أن يغادره حتى يعود

---

[1] الرواية ص82.

[2] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 277.

[3] نفس المرجع ص257.

إليه، فهو بمثابة مكان حماية من الكوارث الطبيعية كالأمطار والرياح والثلوج ومن شر الأمراض " عدت مسرعا وألقيت الأوراق التي بقيت على صدري وأن أمسكها بيدي وذراعي وصدري على السرير"[1].

- **السجن:**

إن المتأمل في فضاء السجن يجد أنه ينفرد بأبعاد ومقاسات تميز انغلاقه ومحدوديته، إضافة إلى أنه يتميز بقيم الإلزام والتعجين فهو رمز الحجز والمصادرة التي تنفي عنه كليا صفة الانفتاح، وهو يتعارض مع فضاء البيت الذي يتميز بقيم الألفة، وهو عالم مفارق لعالم الحرية خارج الأسوار، وهو كفضاء روائي معدّ لإقامة الشخصيات الإجبارية، ينهض بوظيفة دلالية خلال فترة معلومة غير اختيارية، إذ يخضع نزلاؤه إلى قانونه الخاص في شروط عقابية صارمة، وهو يشكل نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل، أما انتقال النزيل فيتضمن تحولا في القيم والعادات وإثقالا لكاهله بالالتزامات والمحظورات، وسلسلة من الإجراءات الإذلالية، فما إن تطأ قدمي النزيل عتبة السجن مخلفا وراءه عالم الحرية حتى تبدأ سلسلة العذابات، فهو يتبدى أولا من حيث هو حيز مكاني مغلق، فضاء للموت والقهر والضرب والتجريد من الحقوق، وهو فضاء التعسف والتسلط والذل، وفرض لآراء الآخر[2]. "إن عالم السجن عالم آخر تنقلب فيه القيم وتتغير أوضاع النفس ويستجيب الجسد لانفعالات جديدة تفرضها عليه أربعة جدران".

ففي رواية " وصية المعتوه " لم يحدد الناص مكان تواجد السجن في المدينة بعد دخول والد فطيمة الحاج بورقيبة إلى السجن لم يطل الإقامة فيها، لم يقم داخل الزنزانة إلا يومين فقط "عندما سجن الحاج بورقيبة" قليل النية المفضوح منذ أشهر قليلة حدث طلاق فطيمة، اعتقد الجميع أنه لن يخرج من

---

[1] الرواية ص 136.

[2] صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، 20013، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص 37.

السجن سريعا بعد أن صفع ضابطا في الشرطة ..... ربما كانت تتصور أن والدها سيطيل الإقامة في السجن فانتفضت على زوج مع وقف التنفيذ، داخل الزنزانة لم يقع بورقيبة إلا يومين"[1].

- **الغرفة:**

هي تعد من الأماكن المغلقة هن العالم الخارجي فهي رمز للراحة والطمأنينة هي "المكان الأكثر احتواء للإنسان والأكثر خصوصية وفيها يمارس الإنيان حياته ويحمي نفسه وتضبح الغرفة غطاء للإنسان"[2]. كما عرّفها ياسين النصير بقوله "... يدخلها الإنسان فيخلع جزءا من ملابسه ويدخلها ليرتدي جزء آخر، وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر، وإذا ما اطمأن تماسكها وبدأ بالتعري فيها، التعري الجسدي والفكري لكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه ويبدوا كما أنه خرج من تحت غطاء خاص[3]، لقد ذكرت في الرواية غرفة مالك الحزين وغرفة إدريس.

من خلال غرفة ملك الحزين يرسم لنا الراوي بعين المبدع في تصوير بديع هو أقرب إلى مشهد سينمائي الوضع الاجتماعي للغرف العربية داخلية في ذلك الزمن عبر حي ديار الشمس فيسهب في وصف كل محتويات هذا المكان الجزئي الذي تكاد تتطابق كل محتوياته لدى غرف بقية بيوت سكان الحي فيركز على وجود ذلك الصور القصبي الذي أقامه مالك الحزين على نافذة بيته كي لا يتطلع أحد على زوجته التاقية رغم أن هذا القصب قد زال الآن ولم يعد موجودا مستعيدا بعض الأجواء والأقاويل التي كانت تحيط بالرجل وبغرفته ومنها استحضاره للجن وميله إلى الشعوذة وهي العوامل التي أعزت الراوي باكتشافها ومحاولة التقرب من مناخاتها رغم تحذيرات والدته من هذا التصرف "لقد كان الاقتراب

---

[1] الرواية ص 50، 51.

[2] حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ص 97.

[3] ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 78.

من كتب وأدوات الملك ممنوعا عن الجميع بمن فيهم خالتي التاقية لهذا فإنها كثيرا ما اشتكت من رائحة الغبار التي تطلع من ركنه الأصفر بينما ينهرها عن ذلك.. كانت متأكدة أن كل ما يقولها زوجها حقيقي وأنه عبقري وأن لديه السلطة على الجن والقدرة على إيذاء البشرية بأكملها إلا أنه لا يريد ذلك"[1].

أما في غرفة شقيق الراوي إدريس بالذات لا شك أن فيها يكمن السر الذي تأسس عليه قصة قبر الجد الذي ضيعه لخضر والد الراوي فبعدها تمكن القراءة رسومات شقيقه التي لم يفهم منها شيئا، وهم المولع بالسرية والتكتم، لقد كان اعتقاد الراوي أن شقيقه كان رساما لكنه عثر في النهاية وبمحض الصدفة على كومة من الأوراق تحت سرير شقيقه أصابه الخرس والصدمة منها أوراق تتضمن وصية هذا نصها " هذا كتابي وقد ضمنته ما رأيتم وما سترون أنا رجل من حي ديار الشمس أملك قبرا في الجبانة الخضراء يفترض فيه أن يكون لجدي لكنه عصى على الموت لهذا سيكون لي "[2].

- **المدرسة:**

تعد المدرسة من الأماكن المغلقة وهي الأم الثانية للطفل [حيث يتعلم فيها القراءة والكتابة ويكتسب التربية والأخلاق]، وهي مؤسسة نظامية اجتماعية تربوية أنشأتها الحكومة أو المجتمع، للعمل على تربية الأفراد وإعدادهم في إطار معين من البرامج والمناهج المحددة ودورها الأساسي هو المحافظة على تراث المجتمع الثقافي وقيمه، ونقله من جيل إلى آخر، وتعليم الطلاب القراءة والكتابة بالطرق القديمة كالتلقين وتكمن وظيفتها في تنمية القدرات الإبداعية فهي تعمل على تنمية القدرات العلمية وترعى الأفكار الإبداعية.

[1] الرواية ص 82.

[2] الرواية ص 18.

أما علماء التربية الأجانب فقد عرفوا المدرسة " فيعرفها ريموند بدون على أنه نظام اجتماعي يقوم بمجموعة من الوظائف مثل وظيفة الإدماج ووظيفة الحراك الاجتماعي، وهذا النظام التعليمي يضم مجموعة من الأشخاص يتميزون بالمعرفة وهدفهم إخراج جيل جديد على كفاءة عالية، والعمل على استمرارية هذا النظام، كما يعرفها أيضا فريدريك هاستن على أنه نظام معقد يعتمد على السلوك المنظم الذي يحقق مجموعة من الوظائف والمهام في إطار معين من النظام الاجتماعي"[1].

ففي هذه الرواية لم يعطي لنا اسم المدرسة التي قضى فيه إدريس معظم أوقاته وطفولته، " كنا أنا والسعدي وفطيمة في السن نفسها، درسنا معا ونشأنا معا، ثلاثتنا اقترنا ببعض"[2].

- **فضاء المسجد:**

هو مكان للعبادة والتقرب إلى الله عزّ وجل بالصلاة والدعاء، وتكمن أهمية المساجد في الإسلام عدم التفرقة بين أفراد المجتمع، حيث يجتمع بصفوف الصلاة خلف الإمام جميع الطبقات ولا يعامل أحدهم الآخر باحتقار أو استهزاء، فجميعهم بين يدي الله تعالى سواء إلا بالتقوى والجدير ذكره أن التقوى مكانها في القلب، فالمسجد لا يرفع شأن الناس للحسب والنسب أو المناصب وإنما بالتقرب من الله تعالى، وفي ذلك تربية مجتمعيه كاملة لا يستطيع مكان آخر الوصول إليه، ولأن المسجد الأساس في جعل المجتمع خال من العنصرية والتفرقة، فقد تعمد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بناء مسجد فور وصوله إلى المدينة المنورة بعد أن هاجر من مكة المكرمة، ففي رواية "وصية المعتوه" لم يعطي اسما للمسجد.

[1] حنان مالكي، المدرسة والحراك الاجتماعي (الطبعة الأولى)، بسكرة، جامعة محمد خيضر، ص 348.
[2] الرواية ص 37.

**2.1. الأماكن المفتوحة:** الأماكن المفتوحة أماكن تتجاوز كل محدّد أو مقيّد نحو التحرر والاتساع، أي عكس الإنغلاق، حيث يمكن أن تلتقي فيها أعداد مختلفة من البشر، وهي تزخر بالحركة والحياة، وفي مثل هذه الأماكن يتحقق التواصل مع الآخرين، ويقضي على الشعور بالعزلة والوحدة، ويقول باشلار عن المكان المفتوح بالغابة إذ يقول خاصة، بغموض مساحتها التي تمتد لم لا نهاية، متجاورة قناع جذور الأشجار وأوراقها، الساحة المتحجبة من أعيننا، ولكنها مفتوحة للفعل"[1].

كما يعرفها عبد الحميد بورايو: " ونقصد هنا بانفتاح الحيز المكاني احتضانه لنوعيات مختلفة من البشر وأشكال متنوعة من الأحداث الروائية، وتتصل هذه الأماكن المفتوحة بفضاءات محدودة وغير محدودة كالبحر والغابة والصحراء والشوارع والجسور وهي بدورها توحي بالحرية والانطلاق والانسجام مع الذات "[2]، وهي أماكن اتسمت بالانفتاح لأنها أماكن لم تتعرض للتشكيل الإنساني والتحديد المادي، فلم تصل إليها يد الإنسان لسقلها وهندستها.

" المكان المفتوح هو المكان الذي تلتقي فيه أنواع مختلفة من البشر ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة"[3]، وهو " أيضا حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاءا رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق "[4]، حيث يلتقي فيه الناس ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة وأنه يشمل الأحياء والشوارع والساحات..

---

[1] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 171.

[2] عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ص 148.

[3] عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 78.

[4] أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس تأثرة، دار الأهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 51.

الأماكن المفتوحة هي نقيض الأماكن المغلقة فهي منفتحة على الطبيعة تضم عدد كبير من الأشخاص باختلاف أجناسهم وأعمارهم وبذلك تتفتح على العالم الخارجي بكل ما فيه[1]، " توحي هذه الأماكن بالاتساع والتحرر" لأنها تترك للأبطال حرية الذهاب والغياب والسفر، وقد تتيح لبعضهم إمكانية الطواف والجولان أيضا[2].

إن الحديث عن الأمكنة المفتوحة هو الحديث عن تلك المساحات الجغرافية التي تحد بحدود واضحة توحي بالمجهول كالبحر والنهر أو توحي بالسلبية كالمدينة أو الشوارع أ, الطرقات التي تدل على الضجيج والحرية، إلا أننا سنركز في دراستنا لهذه الأمكنة المفتوحة التي وردت بشكل متكرر على مدار رواية "وصية المعتوه"، وهي موزعة بانتظام ودقة حسب وقفات الرواية، حيث استعمل الروائي أمكنة للتجمع والاستقرار وأخرى للحفلات والأمسيات والعشاءات إذ ترك فيها الروائي للأبطال حرية الذهاب والإياب عبر أماكن انتقال وإقامات عامة وخاصة، وهذه المجموعة من الأمكنة لها أهمية بالغة في بناء النص والربط بين أجزاءه، فهي تساعد القارئ أو الباحث أيضا على " الإمساك بما هو جوهري، فيها أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها "[3]، ومن خلال ما تمد به الرواية من تفاعلات وعلاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء"[4].

ويمكن حصر الأماكن المفتوحة التي وردت في رواية "وصية المعتوه " فيما يلي:

- **الشوارع والأحياء:**

---

[1]الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسات في رواية نجيب الكيلاني، ط1، عالم الكتب الحديثة، أزيد، ص 244.
[2]هنري متران وآخرون، الفضاء الروائي، ص 23.
[3]حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 79.
[4]فهد حسن، المكان في الرواية البحرينية (دراسة في ثلاث روايات: الجذور، الحصار، أغنية الماء والنار)، ص 80.

يعد الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة فالشارع حسب ياسين النصير " هو صحراء المدينة وجزءها الزمني وحياتها الدائبة المتحركة ولولب بعدها الحضاري لامتداده طاقة على مد الخيال ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان لسعته رؤية ريفية، رؤية المدن الصغيرة الوسطية ولساكنيه حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبدل"[1]. لذا فعدم استقراره هو استقرار آخر، هو التكوين الطي بدونه لم يصبح للشارع معنى، ولذا حسبه الناس زمنا وأحسبه مكانية، ولكونه بلا حدود ولا تحديدات ثابتة جاءت حركته دالة على وضع الإشارة إليه مدفوعة بتوجه، ويمثل سيولته يصعب على الكاتب والفنان التشكيلي تجسيده، إلا في حالة جعله حالة ذهنية فالشارع مغسول كحبات القلب أو جعله إطار وحدثا ما بين زمنين، الماضي والحاضر، وقد كان الشوارع حضورا مميزا في الرواية حيث نجد الكاتب أشار إليها إلى عدة تسميات منها، الشارع الحضن الذي يتلفف الشخصيات التائهة والحائرة، إنه المكان المثقل بالبشر، " أمشي في الشارع وصوته الطفولي وهو يكذب ويتحجج كل يوم بحجة لينسيني أمر الساعة يتردد في أذني"[2].

يتميز الحي الشعبي بطابعه الطوبوغرافي المتحررة من جميع القيود الهندسية والحضارية، فهو مكان معزول عن العالم، ومتروك لتناقضاته يعتاس عليها ويعيد إنتاجها " فالحي الشعبي فضاء أهل ومكتظا بكل معنى الكلمة، وهذه الحقيقة وإن كانت بديهية ولا تحتاج إلى ذكاء خاص للتفطن إليها فهي منصوص عليها في المدونات الحضرية كما هي مشهودة في الواقع العياني"[3]، ففي الرواية لا نعثر أبدا على أية دلالة اجتماعية تحدد لنا أصل تسمية هذا الحي باسم ديار الشمس ولو بصورة تقريبية ولكننا نفترض استنادا إلى ما هو متداول في المخيال الشعبي المحلي والذي مفاده أن الأجيال القديمة من الآباء

[1] ياسين النصير، المكان والرواية، ص 114.

[2] الرواية ص 29.

[3] حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 83.

كانت تعمد إلى تشييد البيوت في الفضاءات التي ترسل إليها الشمس أشعتها بالنظر إلى برودة الجو القاسية التي تميز المناطق السهبية في غياب وسائل التدفئة العصرية ولذلك يقال أن تسمية هذا الحي باسم ديار الشمس جاءت من هذا الاعتبار وهو الحي الذي يعد من أبرز التقاطبات المكانية التي تشكل ذاكرة الراوي ويستقي منها كل عناصر وجوده وتشكل المتتاليات السردية والوحدات النصية دالا مهما على ارتباطه بالمكان ورسوخه فيه رسوخا لا مجالا مع الانفصال أو التحرر من هيمنته على لاوعية النفسي لدرجة أنه كان يجهل وجود أحياء أخرى غيره إنه الارتباط الذي تؤكد هيمنة بعض الأنساق اللغوية المرتبطة بمدلول اجتماعي وبفضاء سهبي شبه صحراوي وانغراس الراوي في تربة لإيصالها الشك أو الزيف ولهذا تبدوا له رائحة الماشية أمرا عاديا ومألوفا لديه فهي "تعبق الصباحات والمساءات معا تلك الرائحة التي تعيد الروح وتتمكن في ملابس الكادحين من أجل الحي "[1]، فعلى رأي الدكتور فريد الزاهي النص الإبداعي كما يتصوره التحليل النفسي " هو نص يتجذر في انفعالات وعواطف الطفولة هي نفسها نص مفقود تكتبه الذاكرة عبر تحويله إلى نسخة منها "[2].

- **المدينة:**

تعد المدينة فضاء جغرافي واسعا تضم مجموعة من الأمكنة الجزئية: (المسجد، المقهى، الشوارع والأحياء. الساحات، المستشفيات....).

لم تعد المدينة مجرد مكان للأحداث بل استحالت موضوعا، خاصة مع تنامي العوامل الداخلية والخارجية فمن الناحية الاجتماعية تعد ذات كثافة سكانية كانت سبب مظاهر كثيرة ومشكلات نفسية واجتماعية ومن ناحية أخرى أصبحت المدينة ملتقى التيارات الفكرية والفلسفية العالمية الواردة إليها من

[1] الرواية ص 59.

[2] فريد الزاهي، النص والجسد والتأويل، دار إفريقيا الشرق 2003، الدار البيضاء، ص 134.

جهات مختلفة من العالم[1]، إذن فالمدينة تعتبر الوسط الذي يتم فيه العبور من الحاضر إلى الماضي كما أنه تجمع جميع فئات المجتمع من شباب وكهول وأطفال وتحدد لنا ميزة العلاقات الأسرية والصداقة[2]، المدينة من الأماكن المفتوحة " فهي تملك الإنسان، ولذلك يعاني فيها الناس القلق، والتوتر والفراغ [3]"، فالمدينة هي مأوى الإنسان، أوجدها للعيش فيها، كما هي مكان للعمل والدراسة واللقاءات والتسوق فيها، وتختلف المدن عن بعضها البعض تبعا للموضوع الجغرافي المحدد.

يعرفها مصطفى الكيلاني فهي: منظومة العلاقات تختلف بها حياة البشر عن الحياة في البوادي والأرياف، أي منظومة هندسية واسعة متعددة الأشكال ذات وظيفة سسيولوجية واقتصادية[4].

ويعرفها الشريف حبيلة: " هي مجموعة من المسافات، لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية [5] وعند عبد الصمد زايد: "نظاما متكاملا ونسيجا محكما من قيم البشر والانحطاط وبؤرة لاستلاب وتغريبه عن إنسانيته ووعيه لذاته[6]. والمدينة تعني حضارة، رقي، تقدم[7] فحين يراها "معظم الروائيين الغربيين بأنها مصدر للقلق والتوتر والفزع نتيجة ضجيجها وازدحامها الدائم، أمثال تولستوي فقد كان من أكبر كارهي المدينة[8].

---

[1]الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي ص 256.

[2]عبد الحميد بورايو، منطق السرد في القصة الجزائرية الحديثة، ص 146.

[3]حنان محمد موسي حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ص 97.

[4] مصطفى الكيلاني، الرواية والتأويل "سردية المعنى في الرواية العربية"، ط1، أزمنة النشر والتوزيع، عمان الأردن، 2009، ص 53

[5]الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 53.

[6]عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية "الصورة والدلالة"، ص 116.

[7]جبران مسعود الرائد، معجم ألف بائي في اللغة والإعلام، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2005، ص 802.

[8]ينظر شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص10.

ارتبط الفن الروائي بالمدينة الأمر الذي جعل بعض النقاد يصف الرواية بأنها كائن مدني انتسابا إلى المدينة، وتدخل المدينة إلى العمل الروائي بصفتها خلفية مكانية، ثم يعكف الروائي على طرحها وتقديمها وتصويرها[1]، إن المدينة في الرواية، تؤدي دورا شديد الأهمية، بل إنها تحتل مكانة بارزة، فنظر لكون المدينة، ليست مفهوما معاصرا، أو فكرة مستحدثة، ولكن النظرة إليها هي التي يمكن أن تتسم بالحداثة والمعاصرة... بل هي صيرورة متطورة، فهي حملة من العلائق والأعراف والمواصفات المتطورة[2]، إنها في الأساس المكان الذي كان متطلبا مسبقا لانبثاق الرواية، بوصفها نوعا أدبيا لا تخضع لقواعد مسبقة ثابتة لا توجد قواعد مكرسة يتعين على الروائي الالتزام بها قبليا، كون الرواية تحتكم إلى الخيال بقدر ما تحتكم إلى الواقع أو إلى التجربة[3]، فهي فضاء خارجي يسمح للشخصيات بالتحرك فيها بحرقة تامة مما يمكنها الاتصال بالعالم الخارجي وإقامة علاقات مع الآخرين[4]، فالمدينة تجمع بين فئات المجتمع المختلفة وتحدد بينهم علاقات اجتماعية متعددة.

تظهر المدينة حلبية في رواية "وصية المعتوه " لإسماعيل يبرير وهي مدينة الجلفة حيث يقول " كانت مدينة الجلفة تختفي بالكبش، وضعت له تمثالا في صدرها، لكنه سقط منذ سنوات قليلة مع التماثيل الكثيرة التي سقطت تباعا، يقول أستاذ التاريخ الذي درسني منذ سنوات أن الجلفاوي الذي سبق التاريخ كان يربي الكباش، ويقول أيضا إن حقبة مرّت على الجلفة، لم يكن يوسع الرجل فيها الخروج دون كبش،

---

[1]ينظر موليس شرودر، نظرية الرواية، تر، محسن الموسوي، ط1، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، 1986، ص 104-105.

[2]قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، منشورات اتحاد الكتاب بالعرب، دمشق، 2001، ص 12.

[3]ينظر إبراهيم سعيدي، دراسات ومقالات في الرواية، (د،ط)، منشورات السهل، بيروت، لبنان، 2009، ص 112.

[4]سارة حيدر، شهقة الفرس، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، 2007، ص 16.

لكنه لم يقل الخروج من أين وإلى أين؟ هل كانت في الجلفة مدن وشوارع قبل التاريخ؟ أم كهوف وغارات ودور الشمس باردة؟[1].

ذكر الراوي أيضا مدينة باريس قوله " لم يكن حاقدا عليه يعد أن زل لسانه في ليلة سكر واعترف برحلته مع بورقيبة الذي استبعده لدهر قبل أن يأتي الفرج من باريس... يقصد أن فرنسا منحته حقوقه... ولعلّه قضى ستة أشهر في فرنسا بداية الستينات "[2]، وذكر أيضا ليبيا " البعض قال إنه جمع ثروته من العمل في ليبيا كما فعل بورقيبة "[3].

- **الرقاديات:**

وهو مقام يزورونه ناس الجلفة ويسكن في طرف المدينة الغربي: " ربما ذهبنا غير مرّة إلى مقام الرقاديات في طرف الكدينة الغربي "[4].

- **فضاء الطريق أو الممر:**

تقوم الطريق كمكان انتقال عام بتأطير المارين والممارسات المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات كالسوق السوداء، وأساليب العمل في الظلام كقطاع الطرق الليلية، كما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهاردة، فهناك أسباب عديدة تقضي بوجود الشخصية ضمنيا، إما شخصية عادية تنتقل في الطريق لقصد التنقل إلى مكان آخر لقضاء الحاجات اليومية، أو للترويح عن النفس، أو شخصية متشردة ضمن عصابة دفعتها ظروف اجتماعية لذلك، أو بمحض اختيارها لرغبة ذاتية معه

---

[1] الرواية ص 39-40.
[2] الرواية ص 49-50.
[3] الرواية ص 36-37.
[4] الرواية ص 38.

حركتها، مما يجعلها محليا للشبهة، بقراءتي للرواية نجد أن الراوي يعبر على مقبرة النصارى، فقط اكتف على مقبرة المسلمين أو الجبانة الخضراء " أو أدخل مباشرة من أحد أبوابها فأشرع في المناورة تجنبا للقبور، ولكنها طريق أسهل لن أسلكها، نزلت إلى يساري عبر شارع يلتزم الصمت ولا يبدي أي موقف من الأبد "[1].

- **فضاء المستشفى:**

يقوم المستشفى كمكان انتقال خصوصي بتأطير لحظات الممارسة الطبية التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية، فهناك دائما سبب زاهر يقضي بوجود الشخصية ضمن مستشفى ما، فقد يحدث ذلك بمحض اختيار الإنسان للمستشفى الذي يريد العلاج فيه، خاصة وأن العلاج يكون مجانيا في المستشفيات العمومية، يحدث ذلك في العادة بعد رغبة معه الشفاء من المرض.

- **الوادي:**

هو مكان موجود في مدينة الجلفة واسمه وادي ملاح وهذا الواد من المعالم الطبيعية التي تتميز به هذه المدينة يقول الراوي " وادي ملاح يقسم المدينة إلى نصفين مثل حبة تفاح أو كقلب يشقه سهم..... "[2].

## 2-تقنيات الوصف

الوصف تقنية ترتبط بالسرد، حيث يتوقف السارد مفسحا المجال للوصف " فيكون زمن القصة منعدما أو يكاد، بينما زمن السرد ذو اتساع كبير "[1]، " ويتكون ما يسمى بالاستراحة الومنية، ليتسع بذلك

[1] الرواية ص 8

[2] الرواية ص 27.

زمن الخطاب ويمتد، مما يؤدي إلى إبطاء زمن السرد وتعطيله، وهو تقنية إنشائية تتناول وصف الأشياء الواقعية، وكأنه تصور فوتوغرافي لما تراه العين "[2]، " وإذا أراد الروائي أن يذكر الفضاء الذي يتحرك فيه أبطاله، لزمه أن يلجأ بالضرورة إلى الوصف، وبالتالي يتوقف مجرى الحكي، ولو لوقت وجيز "[3].

ويمكن التمييز بين نوعين من الوقفات الوصفية، الأول يرتبط بلحظة معينة من القصة، حيث يتوقف الوصف أمام شيء أو عرض يتواقف مع الوقفة التأملية للبطل نفسه، وبين الوقفة الوصفية الخارجية عن زمن القصة، والتي تشبه إلى حدّ ما محطات استراحة يستعيد فيها السرد أنفاسه[4]، أما النوع الثاني فقد امتازت به الرواية البلزاكية، وقد يوافقه في ذلك بورنوف[5].

إلا أن جيرار جنيت الذي يرى أن من الصعوبة وجود حكي بدون وصف، فقد أبدى لنا وظيفتين مختلفتين للوصف: الأولى تزينية موروثة عن البلاغة التقليدية، التي كانت تصنف الوصف ضمن زخرف للخطاب ومجرد وقفة أو استراحة للسرد وليس لها سوى دور جمالي خالص، أما الوظيفة الثانية فهي الوظيفة التقسيرية الرمزية، التي تقضي بأن يكون المقطع الوصفي في خدمة القصة وعنصرا أساسيا في العرض[6]، ويرى أن الوظيفة الكبرى للوصف ذات طبيعة تفسيرية رمزية، حين يفسر المقطع الوصفي للحدث أو الأمكنة أو حياة الشخوص بصورة عميقة، إذ يكشف عن حياتها وملامحها الداخلية والخارجية، وبهذا يعد الوصف أكثر التقنيات الروائية التي تعمل على بلورة الشخصية وتشخيصها أمام القارئ من خلال رسم التفاصيل الصغيرة، فيؤدي دورا في بنائها وبناء الحدث الروائي وبنية السياق السردي بصفة

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 144.

[2] ينظر: عزوز على إسماعيل، شعرية الفضاء الروائي عند جمال الغيطاني، ص 37.

[3] ينظر جيرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، ص 25.

[4] حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، م، س، ص 175.

[5] Gerard Genette, figures III, le seeuil,Paris, 1972, p112.

[6] Gerard Genette, frontières du récit communication, 08, paris, 1996, p 157.

عامة، فأصبح الوصف غاية خلاقة مبدعة للمعنى تومئ بعمق العلاقة بين المكان والأشياء، كما يلعب المقطع الوصفي دورا في إيهام القارئ بالواقع الخارجي بتفاصيله الصغيرة، إذ يدخل العالم الواقعي إلى عالم الرواية التخييلي، فيزيد من إحساس القارئ بواقعية الرواية. وبالتالي يمكننا القول أن الوصف يؤدي دور التنظيم المنظم السردي.

فالوصف كما يقال هو الذي يجعلنا نرى الأشياء عن طريق تأدية وظيفته التصويرية التي هي وظيفة إدراكية مباشرة في المرتبة الأولى، فمن المعروف إنه يقوم أساسا على الحواس إذ هي التي تساعد على توسيع مجال الرؤية بإشراك السمع واللمس والحركة بل والشم وقبل كل شيء الرؤية البصرية "[1].

ففي رواية وصية المعتوه نجد وقفات وصفية كثيرة حيث نجد الراوي يسرد التفاصيل المتعلقة بحياة شخصية من الشخصيات وذلك وصفا داخليا أو خارجيا.

1- **فطيمة:** كانت من أصدقاء إدريس والسعدي كانت ملازمة لهم في كل أعمالهم وأشغالهم ومغامراتهم اليومية كانت تعيش حياة بسيطة بين أفراد أسرتها التي كانت تتميز بطابع التعصب من طرف والدها بورقيبة الذي كان محافظا بحكم عادات وتقاليد زوجها بشخص يسمونه صالح بطاطا حيث لم يرد زواجهما كثيرا، طانت جميلة جدا هذا ما جعل السعدي وإدريس تتغير نظرتهم إليها إلى أكثر من صديقة. " فطيمة التي تسكن الآن الخيال والأحلام لا اختلاف في الملامح لا تزال الشاملة أسفل الشارب يتهرني، وعيونها الشاسعة كأحلام اليقظة تهجرني مني إليها، وبياضها وشعرها وحتى طريقة رفعها لحاجبيها ذاتها ما تزال

[1] حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 180.

خارجا فطيمة في فطيمة، لكن الذي كسر فيها لا يمكن استعادته..."[1] " إن صدرها انطلق مسرعا إلى الأمام وأنها أصبحت أطول منامعا إلى أن أمها اجتهدت في إخفاء ثديها لكي لا يتذكر الحاج بورقيبة أن فتاته الأخيرة تجرح كرامته بجماله"[2]، "فطيمة بجسدها المبهر تعود الاحتفاء به أكثر من أي جسد آخر في العالم "[3].

حيث تبرز شخصية فطيمة لملامحها الخارجية فهو يرسم لنا جمالها الذي لا مثيل له ويظهر طباعها الخلفية.

**2- إدريس:** هو بطل هذه الرواية فهو شاب في مقتبل العمر أخذه جدّه عندما كان صغير إلى المقبرة حيث قام جده بحفر قبر له وأوصى إدريس بالقيام بدفنه هناك بعد وفاته ولكن الشيء المفاجئ هو بعد موت جد إدريس وقراره بدفنه في القبر الذي حفره جده من مسبقا وأوصاه بأن يدفن هناك ولكن للأسف لم يجدوا القبر وذلك لكثرة الموتى ودفنهم بطريقة عشوائية ومن الحدث قرر إدريس ترك هو الآخر وصية لأهله بعد موته فبدأ مسارعا بكتابة ذلك الأحداث ببعضها البعض لأنه لم يجد شيء بدونه في وصيته.

أما أبوه وأمه حاضران في الرواية بحكم الوصف والتقاليد والبيئة الريفية وبحكم السرد الوصفي لحياته في بيته وفي المدينة التي يعيش فيها أي "الجلفة" وبين كل ذلك حالته النفسية الثقيلة بين الحين والآخر.

---

[1] الرواية ص 64.

[2] الرواية ص 41.

[3] الرواية ص 54.

" كنت تفتش عن ملامحك الحقيقية في المرآة لطالما اعتقدت أن قلة وسامتك تلك غير مبررة "[1].

"كان يشفق عليك الجميع بسبب وجهك وملامحك الحزينة من جهة ولكن أيضا تماديت في الظهور كالمسكين، كأن الإشفاق حالة تطهير تنزع عنك أيضا "[2].

استطاع الروائي أن يصور لنا الملامح إدريس تصويرا مفصلا ودقيقا، والصفات الخارجية التي كان يتصف بها إدريس بطريقة سهلة تجعلها وكأنها مرئية في الواقع وكأننا في وسط أحداثها.

"عندما جاءتني ليلا منذ أسبوع الحدث لي أنها لم تنسي حياتنا معا قالت إن أخباري لم تكن مقطوعة عنها، كنت سعيدا لأنها تخبرني بهذا ولكن أشعر بالخوف من عين قد ترصد وقوعها عند الباب"[3].

في هذا المقطع يسرد لنا الراوي الحالة النفسية التي كان تجول داخله بين السعادة التي شعر بها أثناء تحدثه مع فطيمة والكلام الذي سمعه مهنا وفي نفس الوقت الشعور بالخوف من جراء هذا اللقاء الذي كان بينهما.

**3- السعدي:** هو صديق لإدريس جاء مع أبوه إلى المدينة التي كان يعيش فيها إدريس فعاشوا طفولة جميلة مع بعضهم البعض، كان معظم أوقاتهم مع بعض، أمه التاقية وأبوه سليمان الملقب بالملك الحزين وأخته زهرة.

---

[1] الرواية ص 33.
[2] الرواية ص 111.
[3] الرواية ص 57.

" السعدي عقدة هو الآخر من جهة، هو أيضا اعتقد أن بياض وجهه المرفش وشعره الأشقر، أوصاف لا تلائم رجل لذلك فإنه كان يعمل عل تجاوز تلك العقدة بإظهار الرضى والقوة "[1].

في هذا المقطع يبين لنا الراوي هيئة السعدي المتمثلة في وجهة المرفش وشعره الأشقر وبياض بشرته.

4- **الجد:** كان في الثمانين من العمر وصاحب الوصية التي أعطها لإدريس وهي أن يدفنه بعد وفاته في القبر الذي حفره لنفسه ولكن بعد وفاته تأجل جفنه بسبب عدم إيجادهم لقبره الذي وصى به ووصيته هذه كانت منطلق الرواية ومنها قرر إدريس حفيده هو الآخر أن يترك وصيته كما ترك جده الذي لم يشارك في أحداث الرواية إلا القليل منها في بداية الرواية.

5- **العمة:** كانت تتميز بشخصية قوية متسلطة فلقد كانت امرأة بألف رجل تأخذ حقها بيدها منت مضلها حيث المفر الوحيد لإدريس بعد توهمه بقتله لصديقه السعدي حيث لم يجد أي مكان يختبئ فيه إلا منزل عمته التي كانت تعيش مع ابنتها صليحة التي كانت صندوق أسرار إدريس.

كما تظهر أيضا في هذه الرواية تقنية الوصف في المواضيع الآتية "لن أكون مثل الحاج بورقيبة الذي لم يمنح حرية لبناته ولا كخالتي التاقية التي يسلبها ابنها السعدي حريتها، ولا كجدي الذي يعيش أوهامه كأنها الواقع ولا كأبي الذي أغفله التاريخ وأغفل المستقبل فلم يشهد الحاضر "[2].

---

[1] الرواية ص 110.

[2] الرواية ص 37.

بالنسبة لهذا المقطع تظهر تقنية الوصف من خلال الكشف عن الأبعاد الاجتماعية والنفسية للشخصيات الروائية مما يسهم في تفسير سلوكاتها ومواقفها المختلفة.

نجد مقطع آخر يتمثل قول الراوي " كنا أنا والسعدي وفطيمة في السن نفسها درسنا معا ونشأنا ثلاثتنا اقترنا ببعض، فلا يأتي ذكرا واحدا منا إلا تتبعه الإثنان في الخير والشر، في السر والضراء، ورغم إدراكنا أنا أنا والسعدي أن التي بيننا فتاة وسعى كل منا إلى الظهور بشكل أفضل أمامها إلا أن الأمر ظل سرّا بيننا، فلا أحد يعترف للآخر بأنه يريد إزاحته تماما، معركة صامتة "[1].

فالراوي يسرد قصته مع السعدي وفطيمة وأهم المغامرات فقد تعرض إلى عقدة نفسيته منذ الصغر بسبب فطيمة التي يحبها وصراعه الصامت مع السعدي الذي سيخلق في ذاته عدوا رغم أنه يحبه كثيرا.

وكذلك في هذا المقطع "ثم ها هو أب لابنتين لا تتوقفان عن الدخول إلى صالونه الفقير حافيتين في كل لحظة بينما يطردهما دون أن يستوقفه مظهرهما الرث، مخاطهما المتصلب، وألبستها البالية وشعرهما الأشقر الفوضوي التوجه، بدأ كل ذلك ساحرا بالنسبة لي عجبت كيف يتدخل مقصه يعالج تشنجه سعر البنتين"[2].

نلاحظ أن الراوي بين طبيعة الأب في تعامله مع البنتين وعدم الاهتمام مما أدى إلى الفقر والتشرد.

تجسد هذه المقاطع كل الصفات الخارجية والداخلية للشخصيات الموجودة في هذه الرواية "وصية المعتوه" فقد كان الغرض من الوصف الخارجي لهذه الشخصيات هو التعريف بالشخصيات من أجل

---

[1] الرواية ص 35.

[2] الرواية ص 35.

القارئ، وكأنها مجسدة أمامه في الواقع، وتبسط الرؤية له من أجل التعرف عليها أكثر وبدقة، فالوصف عمل على تقديم الشخصية بطريقة تصويرية وكان الغرض الأساسي من خلال هذا الوصف هو تقديم صورة موضحة عن الشخصيات، كما نجد أن الروائي وظف عبارات مناسبة توظيفا محكما ودقيقا، واستعمل أيضا عملية التخيل، كما ذكرنا أيضا الصفات الداخلية للشخصيات وذلك في طريقة وصف الروائي لدواخل هذه الشخصيات وما نشعر به نفسيا وعاطفيا، فقد ساهمت هذه الصفات على تبرير مواقفها ونظرتها للأمور، وأفعالها التي كانت تقوم بها وتقلباتها المزاجية وفهم القارئ لها داخل هذه الرواية.

## المكان في رواية "وصية المعتوه"

إن البيئة الموصوفة في الرواية لها أثر كبير على شخصيات الرواية من جهة وعلى القارئ من جهة أخرى، فهذا الوصف هو الذي يحفز الشخصيات على القيام بالأحداث. أو يوحي للقارئ بالأحداث المتوالية تبعا لمعطيات الأماكن الموصوفة داخل الرواية أو التي تتحرك فيها الشخصيات الرواية، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالأماكن المجازية والأسطورة وهذا ما نصادفه في رواية "وصية المعتوه" في بيت الملك الحزين عندما كان الروائي يصنف الأشباح التي كانوا يعيشون في غرفة المالك الحزين، وكيف كان إدريس يراهم أمامه، وهذا ما يصور لدى القارئ كيف كانت حالة الملك الحزين من جراء الشعوذة وكيف كان يتخيل من طرف الناس البيت الذي كان يسكن فيه.

ولقد اعتمد إسماعيل يبرير في رواية وصية المعتوه وصف البيئة التي تدور فيها أحداث هذه الرواية في مدينة الجلفة وهي الموطن الحقيقي للروائي إسماعيل يبرير فاستطاع أن يدلنا ويقرب القارئ شوارع تلك المدينة حيث استطاع القارئ أن يتبع مجريات الأحداث في الرواية ويمكننا أن نحدد أماكن التي وردت في الرواية "وصية معتوه".

- **الحي:** هو ديار الشمس ويرد ذكر هذا الحي كثيرا في الرواية لأن الروائي كان ينتمي إلى هذا الحي وتضافرت عدة معطيات لتعطيها الحيز الأكبر في أمكنة الرواية الجغرافية، كما أنه يصور في هذا المقطع التركيبة القبلية التي تشكل مدينة، ويطبعها بالطابع الريفي الذي يصر الكاتب على أنه من أهم مقومات هذه المدينة، وفي ذلك رمزية لنقاء المكان، كما يصور البساطة التي كان يعيش عليها سكان "ديار الشمس".

"لكننا في جيار الشمس خارج الوقت، بعيدون جدا عن العالم وعن الأحداث التي يصنعها البشر، نحن كائنات بسيطة تنام وتفيق بحثا عن اليوم، لا يعنينا كثيرا الغد، والأمس الملفوف بالحنين على الدوام، وإن كان يرعى كسورنا "[1].

هنا يصور تقاليد هذه المدينة وعادات السكان البسيطة، فكان في كل مرة يلجأ إلى ذلك الحي "ديار الشمس " ما كان يقوم به سكانه.

" في الشارع بيتنا كان الجميع مستعدين لتناول "عشاء الميت" الكسكسي واللحم، وحقق أغلبهم مأربه عندما بدأت قصع الكسكسي تدخل فارغة وتخرج ممتلئة "[2].

هذا المقطع يبين أنه كان من عادات سكان "الجلفة" وبالتحديد سكان في ديار الشمس كان من عاداتها إطعام الناس في يوم وفاة ميت من أهل بيتهم، وكان هذا العشاء عبارة عن لحم، وكسكس، وهذه الصورة التي رسمها عن سكان هذا الحي، استطاع أن يفصل في عادات سكان حي ديار الشمس.

---

[1] الرواية ص 53.

[2] الرواية ص 17.

- البيت: بيت إدريس الذي كان يعيش فيه بقية أفراد عائلته، من هنا بدأت البحث عن الرواية وبالتحديد في بيت شقيق إدريس.

"وابهتني في غرفة شقيقي ثلاث رسومات غريبة، في الجدران الثلاث للغرفة، الرسم الأول يطيف امرأة ورجل في حالة عناق ربما أو أحد يخنق الآخر، الرسم الثاني لرجل يمسك خنجرا مزروعا في قلبه، ونقاط وكأنها دم تتخلص من أسر القلب، والجدار الثالث يحمل رسما مركبا لثلاث وجوه خلف بعض كأنها في وصف نحو الجحيم"[1].

من هذا المقطع نستطيع أن نعرف كيف بني واختلق إدريس وصية المعتوه، فهو من خلال هذه الصور اخترع أحداث لم تجري له في حياته، ولم يعشها قط، إن هذا المكان يعد أساسا مجرى أحداث الرواية، فمنه كانت بداية التفكير فيما سيكتب في الوصية.

- المقابر: هي بيوت الموتى، مقبرة النصارى، مقبرة المسلمين، مقبرتين كانوا متواجدين في ديار الشمس.

" ادخل إلى الحي دون العبور على مقبرة النصارى، فقط أن التف على مقبرة المسلمين "الجبانة الخضراء" أو ادخل مباشرة من أحد أبوابها فشارع في المناورة تجنبا للقبور "[2].

في هذا المقطع تبين أن طريق الوصول إلى بيت إدريس كان عبر العبور بجانب هذه المقابر إما مقبرة النصارى، أو مقبرة المسلمين، فهو كان كل يوم يعبر هته الجهة، كما أن هذه المقابر كانت باب

[1] الرواية ص 12.
[2] الرواية ص 8.

رزق لجده، فهو كان عامل فيها، فكان يحرس هذه القبور، ويقوم بتنظيفها وقلع أشواكها وحشائشها وهذا ما نستخلصه من هذا المقطع.

"وقفت حيث مقبرة النصارى التي ظل جدي يحرسها طوال سنوات، لم أكن قد ولدت عندما قرر أن يجد له عملا، فكانت المقبرة من نصيبه "[1].

وهذه المقبرتين تدلا على أنه كان هناك دينين في منطقة الجلفة، المسيحية والإسلام كما أن في هذا المكان بدأ البحث عن وصية الجد المفقودة، والتي أوصى بها أهل بيته والمتمثلة في حفر قبر له قبل موته وطلبه من أهل البيت أن يقوم بدفنه في هذا القبر، وبعد مرور سنوات نسي هذا القبر وكثر موت المقبرة، فاندثر هذا القبر، ولم يعد له أثر، ومن هذا بدأ إدريس التفكير في كتابة وصية له كما فعل جده من قبل موته.

- **المخبزة:** هذا المكان وأن دل على شيء فإنه دل على مصدر قوت إدريس ومكان عمله قبل أن يطرد منه وقمل بداية كتابته للوصية.

" أردت أن أترك العجين الذي بين يدي وأسارع نحو الحي، ولكن صاحب المخبزة، ألح أن أكمل عملي، كنت أستجيب لأمره الصارم عندما أضاف تعليقات جعلتني انتفض في وجهه"[2].

"كنت حزينا لفقدان عملي في المخبزة أكثر من حزني على جدي الذي يحتمل أن يكون ميتا الآن"[3].

---

[1] الرواية ص 8.
[2] الرواية ص 7.
[3] الرواية ص 10.

يبين في هذا المقطع أن المخبزة هي مكانا لكسب قوته اليومي، لكن سرعان ما تحولت لمكان تسترجع منه الذكريات.

- **المدرسة:**المكان الذي قضي فيه إدريس معظم أوقاته وطفولته واستطاع من خلاله أن يجد له أصدقاء، "فطيمة" و "سعدي"، فهو من هذا المكان استطاع أن يختلق عدة أحداث خرافية وغريبة وهذا ما نجد في هذا المقطع "كان نيوتن وسيما شعر طويل مسدول على كتفيه، شجرة التفاح كانت أمامه وهو يتكئ على شجرة أخرى، تسقط التفاحة من الشجرة المقابلة، لا يحرك ساكنا ولا يبدو وعليه أن يستكشف أمرا جميلا"[1].
- **الوادي:** أهم المعالم التي كانت موجودة في حيه أو في مدينة الجلفة، فهو كان من المعالم الطبيعية التي كانت تميز مدينة الحلفة.

" كان الوادي هو المهم الذي ينطلق من مكان إلى آخر، لكنه يعبر المدينة، على حافته كنت أشرح للسعدي الجلفة ومعالمها "[2].

في هذا المقطع يصور لنا الروائي أين كان متواجد الوادي بالتحديد، ويبين لنا أن هذا الوادي كان بالنسبة للسكان مدينة الجلفة من أهم المعالم المتواجدة فيها.

[1] الرواية ص 22.

[2] الرواية ص 28.

# الملخص

## ملخص الرواية:

الرواية تحكي عن وضع شاب في حي مغلق يقع بين ثلاث مقابر لليهود والنصارى والمسلمين، ذلك الحي لا يسجل أية أحداث تحرك أسنة ادريس نعيم بطل الرواية، يرفض الواقع ويسعى لإيجاد حالته المختلفة رفقة صديقه "السعدي" و"إدريس" من قد خالف طريقتهم في الحياة التي يراها الناس غريبة وطريقته هي زيارة الموتى في مقابرهم والتحدث معهم وهذا ما جعل الناس يتعجبون لأمره لكنه لا يلتفت لما يقولون، فهو يحدث الأموات ويأنس في صحبتهم من البشر قد كفوا عن الأذى لا ضغينة ولا بغضاء يعيشون في سلام تحت التراب ويكتبون كتبهم ضد الأحياء.

# الخاتمة

تتحدد قسمة أي دراسة بما تحققه من نتائج وإضافات جديدة مفيدة، وفقا لآليات البحث التي يوظفها الدارس، ولكي نصوغ قالب البحث النهائي كوحدة تكاملية، وبعد رحلتنا البحثية بالدراية والتحليل لعمل روائي عربي معاصر، تمثل في رواية "وصية المعتوه"، فقد جنت الدراسة الثمار الآتية:

- إن الرواية مكانة مرموقة في عالم الأدب المعاصر، باعتبارها فضاء يطرح فيه الكاتب هموم الواقع المعاش.
- إن للمكان أهمية كبيرة في بناء الرواية لأنه الركيزة الأساسية في العمل الروائي.
- لقد جاء المكان في الرواية على أنه عنصر ضروري وحيوي محققا التلاحم والانسجام مع باقي العناصر وليس مجرد ديكور للأحدث.
- تعددت أنواع المكان في هذه الرواية حيث جاءت متنوعة الفضاءات تظهر مرة مفتوحة ومرة مغلقة.
- نجد المكانفي الرواية له خصائص واضحة فقد كانت أحداث الرواية تجري ما بين المقابر الثلاث الوادي واحي فحاول الروائي دفع ما يحدث في هذه الأمكنة ووصفه.
- قدم الروائي المكان على أساس الحدث المنجز ارتسم من خلال حركة الشخصية فجاء مفسرا لسلوكها وعايش طبيعتها وحقيقتها.

يعد الوصف من أهم مكونات السرد التي يستعملها الروائي في تشييد المكان، وجعله أكثر وضوحا ولقد ركز الروائي في رواية " وصية المعتوه" في وصف بعض الشخصيات وصف خارجي دقيق ووصف داخلي عميق وهذا من أجل إظهار حقيقة وطبيعة هذه الشخصيات.

إن وصف المكان قد تخلل فيه لحظات السرد فله وظيفة تفسيرية تحمل الكثير من الدلالات.

أتمنى أن يكون بحثنا هذا قد أحاط ما سطرنا، وهو بطبيعة الحال ليس كاملا، فالدراسة لا يمكن أن تكون لها نهاية، إذ يمكن لطالب آخر أن يعيد الدراسة والتحليل ن نواحي عدة.

# المصادر والمراجع

- **المصدر:**

- إسماعيل يبرير: وصية المعتوه، كتاب الموتى ضد الأحياء، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.

- **المعاجم:**

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

2- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، القاهرة، سنة 1983.

3- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق د/عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، المجلد 4، ط1، 1991.

4- جبور عبد النور عوّاد، معجم عبد النور المفصّل، فرنسي، عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط8، نوفمبر 2006.

5- جبران مسعود الرائد، معجم ألف بائي في اللغة والإعلام، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2005.

6- ماري إلياس، حنان قصاب حسين، المعجم المسرحي (مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض) مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

7- ينظر، مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة، ط2، 1989.

- **المراجع المترجمة:**

1- جيرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2002.

2- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

3- ميشال بوتور: " بحوث في الرواية الجديدة، تر فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1982.

4- مجموعة مؤلفين، جماليات المكان، تر، سيزا قاسم آخرون، الدار البيضاء ودار قرطبة، لبنان، ط1، 1988.

5- يوري لوتمان، المكان دلالته، تر سيزا قاسم، مجلة البلاغة المقارنة "ألف"، القاهرة، العدد 6، سنة 1086.

6- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة)، تر سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد 6، 1986.

7- هنري ميتران، المكان والمعنى، الفضاء الروائي، تر عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق.

- **القرآن الكريم:**

1- سورة يس: الآية 82.

2- سورة ق: الآية 41.

3- سورة مريم: الآية 57.

- **المراجع الأجنبية:**

1- Gérard Genette, frontières du récit, communication, 8, Paris, 1966, p157.
2- Rossum p 288.
3- Weisgesber p14.
4- Yovir Totman la structure du texte artistique, traduit du russe paronne Foumier et les autres.

- **المراجع العربية:**

1- إبراهيم السعافين، تحولات السرد، دراسة في الرواية الغربية، دار الشرق (د، ط)، عمان الأردن.

2- الزبدي تاج االعروس من جواهر القاموس، باب النون، تج علي بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر، د،ط، 1994.

3- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد): القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، المجلد 4.

4- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأتياري دار الكتاب العربي، بيروت ط4، 1994.

5- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

6- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسات في رواية نجيب الكيلاني، ط1، عالم الكتب الحديث، أزيد.

7- إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية (د، ط)، منشورات السهل، بيروت، لبنان، 2009.

8- حسن نجمي شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي في العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.

9- حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث إكمال الأردن، ط1، 2006.

10- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1990.

11- حميد حميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز العربي، الدار البيضاء، ط2، 1993

12- حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ط1، منشورات مركز أوغاريت الثقافي، فلسطين، 2007.

13- حنان مالكي، المدرسة والحراك الاجتماعي، ط1، بسكرة، جامعة محمد خيضر.

14- سارة حيدر، شهقة الفرس منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، 2007.

15- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، 1994، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

16- صبري حافظ: الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الرواية، مجلة النقد الأدبي، ع: 04، 1989، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

17- صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997.

18- صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، 2003، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

19- عمرو عيلان: الإيديولوجية وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيونباتية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة 2001.

20- عزوز علي إسماعيل، شعرية الفضاء الروائي، عند جمال الغيطاني، ط1، 2010، دار العين للنشر، القاهرة، مصر.

21- عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م، س.

22- عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، دراسة في ثلاثية خيري شبلي الأمامي لأبي علي حسن: تقديم: أحمد إبراهيم الهواري، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2009.

23- علي أيت أرسنان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000.

24- عدي عدنان محمد: بنية الحكاية في الرخاء للجاحظ، دراسة وفي ضوء منهجي، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2007.

25- عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية "الصورة والدلالة" ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2003.

26- عبد الحميد بورايو، منطق السر، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، 1994، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

27- فهد حسن، المكان في الرواية البحرينية ) دراسة في ثلاث روايات (الجذور، الحصار، أغنية الماء والنار)، ط1، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، 2013.

28- فريد الزاهي، النص والجسد والتأويل، دار إفريقيا الشرق 2003، الدار البيضاء.

29- ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد ط1، 1986.

30- محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الإسكندرية، مصر.

31- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمل، الرباط ط1، 2010.

32- مصطفى الكيلاني: "الرواية والتأويل" سردية المعنى في الرواية العربية، ط1، أزمنة النشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.

33- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا، منا، 2011، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، سوريا.

34- هيلة عبد الرحمان المنيع، أبعاد المكان في ساعرية المرأة العربية المعاصرة رسالة دكتوراه (كلية التربية) لبنان بالرياض 1424-1425، نقلا عن أمل بيت محسن سالم رشيد العمري المكان في الشعر الأندلسي عصر الملوك والطوائف- رسالة دكتوراه في الأدب.

# الملحق

إسماعيل يبرير: كاتب، روائي، شاعر، وأستاذ جامعي جزائري من مواليد ولاية الجلفة جنوبي الجزائر، ولد في 05 أكتوبر 1979م، وهو متزوج وأب لأربعة أطفال، يقيم بالجزائر العاصمة، وخريج المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام، بالجزائر العاصمة، وتحصل منها على شهادة ماستر في الصحافة السوسيوثقافية.

بدأ إسماعيل يبرير عمله كمسير لمؤسسة اتصال خاصة من 2004م إلى غاية 2006م، ثم كصحفي في جريدة الجزائر نيوز إلى غاية 2006، ومارس بعدها نشاطه الصحفي في عدد من الجرائد منها الأمة العربية التي كان رئيسا لقسمها الثقافي ثم سكرتيرا عاما للتحرير فيها حتى جوان 2009، ثم انتقل للعمل في جريدة وقت الجزائر فكان فيها أيضا مسؤولا عن الشؤون الثقافية إلى غاية 2012م، وأصبح وأصبح بعدها رئيس تحرير جريدة الموعد اليومي، ثم مدير تحرير جريدة المستقبل العربي في جانفي 2014م، وهو الآن محرر للشؤون الثقافية في وكالة الأنباء الجزائرية، وقد شغل منصب أستاذ متقاعد للسينما والدراما بكلية الفنون بجامعة الجلفة سنة 2013م، كما كان عضوا في هيئة تحرير مجلة مسارات الأدبية، وكتب أكثر من عمود بالصحافة الجزائرية وشارك بمقالات أدبية وثقافية في ملاحق متخصصة.

- **إصداراته الأدبية:**

✓ **مجموعات شعرية:**

1- طقوس أولى 2008.

2- التمرين، أو ما يفعله الشاعر 2008.

3- أسلي غربتي بدفء الرخام 2016.

✓ **روايات:**

4- ملائكة لافران 2008.

5- بادرة كأنثى 2013.

6- وصية المعتوه ..كتاب الموتى ضد الأحياء2013.

7- مولى الحيرة 2016.

8- منبوذ والعصافير 2019.

✓ **نصوص مسرحية:**

9- الراوي في الحكاية 2011.

10- عطاشي 2018.

✓ **كتب جماعية:**

11- كتاب الرواية الأولى 2017.

12- المسرح والرواية، دراسات وشهادات 2018.

13- حيزية حبي 2018.

- **الجوائز التقديرات:**

14- جائزة وزارة المجاهدين للقصة القصيرة 2006.

15- جائزة الملتقى الدولي للرواية عبد الحميد بن هدوقة في القصة القصيرة 2007.

16- جائزة أحسن نص شعري، الملتقى الوطني للإبداع الأدبي والفني، الجلفة 2008.

17- جائزة رئيس الجمهورية لإبداعات الشباب في الرواية 2008.

18- جائزة مؤسسة فنون وثقافة للقصة القصيرة 2009.

19- جائزة رئيس الجمهورية لإبداعات الشباب في الشعر 2011.

20- جائزة الشارقة للإبداع العربي في المسرح، الشارقة 2012.

21- جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي في الرواية الخرطوم، 2013.

22- جائزة محمد ديب للرواية تلمسان، الجزائر، 2018.

# الفهرس

## الفهرس

إهداء

مقدمة .....3

**الفصل الأول: الفضاء المكاني**

تمهيد.....7

1- مفهوم الفضاء .....7

أ- لغة .....7

ب- اصطلاحا.....10

2- مفهوم المكان .....14

أ- لغة .....14

ب- اصطلاحا.....16

3- التمييز بين الفضاء المكان.....21

4- الفضاء المكاني.....22

**الفصل الثاني: أنسنة الفضاء الروائي**

تمهيد.....32

1- تشكيلات المكان في رواية " وصية المعتوه".....33

1-1- الأماكن المغلوقة.....33

1-2- الأماكن المفتوحة .....44

2- تقنيات الوصف .....51

ملخص الرواية.....64

الخاتمة.....66

قائمة المصادر والمراجع.....69

الملحق.....76

**ملخص البحث:**

لقد كشفت هذه الدراسة عن تجربة روائية متميزة للروائي إسماعيل يبرير، فتمثلت في رواية " وصية المعتوه". حيث اهتمت بتحليل تشكلات الفضاء المكاني من خلال إبراز كيفية توظيف عناصره من فضاء ومكان وسرد، فقد أثبتت حركة المكان دورها في تفسير الأحداث حيث تشتت المكان واضطراب الفضاء وجاءت اللغة والوصف على مقاس الجنون من ناحية التوظيف التجاوزي.

وهكذا جعلت هذه الدراسة العناصر متداخلة ومترابطة فيما بينها.

**الكلمات المفتاحية**: الفضاء- المكان- الشخصية – اللغة – الوصف .....